المملكة العربية السعودية
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
مركز شئون الدعوة
٥٨

الإبانة عن أصول الديانة

لإمام المتكلمين الشيخ أبي الحسن علي بن إسماعيل
ابن إسحق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله
ابن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى
الأشعري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم
المتوفى سنة بضع وعشرين وثلثمائة

١٤٠٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

لفضيلة الشيخ حماد بن محمد الأنصاري

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدي ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين.

وبعد: لما كان أكثر الناس في الأقطار الإسلامية ينتسب عقيدة إلى أبى الحسن الأشعري، ومع ذلك لا يعرف شيئاً عن أبى الحسن الأشعري، ولا عن عقيدته التى استقر عليها أمره أخيراً واستحق بها أن يكون من الأئمة المقتدى بهم. أحببنا أن نفيد أولئك عن حقائق هذا الإمام المجهول عند كثير ممن ينتسب إليه وينتحل عقيدته، حسب ما تتبعنا من المراجع المعتبرة.

وقبل كل شيء أتحف القارىء بنبذة قليلة من ترجمة الأشعري فأقول وبالله أستعين:-

التعريف بالإمام:-

(أبو الحسن الأشعري) فهو: علي بن اسماعيل بن اسحق بن سالم بن اسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعري، ولد سنة ستين ومئتين من الهجرة النبوية، ترجمه أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله عساكر الدمشقى في كتابه «تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى أبى الحسن الأشعرى» والخطيب

البغدادى في «تاريخ بغداد» وابن خلكان في وفيات الأعيان، والذهبي في «تاريخ الإسلام» وابن كثير في «البداية والنهاية» و«طبقات الشافعية والتاج السبكي» في «طبقات الشافعية الكبرى» وابن فرحون المالكى في الديباج المذهب في أعيان أهل المذهب» ومرتضى في الزبيدي في «اتحاد السادة المتقين بشرح أسرار احياء علوم الدين» وابن العماد الحنبلى في شذرات الذهب في أعيان من ذهب» وغيرهم.

دخل هذا الإمام بغداد وأخذ الحديث عن زكريا بن يحيى الساجى أحد أئمة الحديث والفقه وعن أبى خليفة الجمحى وسهل بن سرح ومحمد بن يعقوب المقرى وعبد الرحمن بن خلف البصريين، وروى عنهم كثيراً في تفسيره «المختزن» وأخذ علم الكلام عن شيخه زوج أمه أبى علي الجبائي شيخ المعتزلة.

ولما تبحر في كلام الاعتزال وبلغ فيه الغاية كان يورد الأسئلة على استاذه في الدرس ولا يجد فيها جوابا شافياً فتحير في ذلك.

فحكى عنه أنه قال وقع في صدري في بعض الليالى شيء مما كنت فيه من العقائد فقمت وصليت ركعتين وسألت الله تعالى أن يهدينى الطريق المستقيم ونمت فرأيت رسول الله ﷺ في المنام فشكوت إليه بعض ما بى من الأمر، فقال لى رسول الله ﷺ «عليك بسنتى» فانتبهت!! وعارضت مسائل الكلام بما وجدت في القرآن والأخبار، فأثبته ونبذت ما سواه ورائى ظهريا.

قال أبوبكر أحمد بن على بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادى المتوفي سنة ٤٦٣هـ في الجزء الحادي عشر من تاريخه المشهور صفحة ٣٤٦ «أبو الحسن الأشعرى المتكلم صاحب الكتب والتصانيف في الرد على الملحدة وغيرهم من المعتزلة والرافضة، والجهمية، والخوارج وسائر أصناف المبتدعة.

إلى أن قال: وكانت المعتزلة قد رفعوا رءوسهم حتى أظهر الله

تعالى الأشعرى فحجزهم في اقماع السمسم.

قال ابن فرحون في الديباج: «أثنى على أبي الحسن الأشعرى أبو محمد بن أبى زيد القيروانى وغيره من أئمة المسلمين» أهـ.

وقال ابن العماد الحنبلى في الشذرات الجزء الثاني صفحة ٣٠٣ ومما بيض به أبو الحسن الأشعري وجوه أهل السنة النبوية وسود به رايات أهل الاعتزال والجهمية، فأبان به وجه الحق الابلج، ولصدور أهل الإيمان والعرفان أثلج، مناظرته مع شيخه الجبائى التى بها قصم ظهر كل مبتدع مرائى وهى أعنى المناظرة كما قال ابن خلكان: «سأل أبو الحسن الأشعرى أستاذه أبا علي الجبائى عن ثلاثة أخوة، كان أحدهم مؤمنا براً تقياً والثانى كان كافراً فاسقاً شقياً، والثالث كان صغيراً، فماتوا فكيف حالهم؟ فقال الجبائي: أما الزاهد ففي الدرجات، وأما الكافر ففى الدركات، وأما الصغير فمن أهل السلامة؛ فقال الأشعرى: ان أراد الصغير أن يذهب إلى درجات الزاهد هل يؤذن له؟.

فقال الجبائى: لا!! لأنه يقال له: أخوك إنما وصل إلى هذه الدرجات بطاعاته الكثيرة وليس لك تلك الطاعات، فقال الأشعري فإن قال ذلك التقصير ليس منى، فانك ما ابقيتنى ولا اقدرتنى على الطاعة، فقال الجبائى: يقول البارىء جل وعلا: كنت أعلم لو بقيت لعصيت وصرت مستحقاً للعذاب الأليم فراعيت مصلحتك، فقال الأشعرى: فلو قال الأخ الأكبر ياإله العالمين كما علمت حاله فقد علمت حالي، فلم راعيت مصلته دونى فانقطع الجبائى: !!.

وقال ابن العماد «وفى هذه المناظرة دلالة على أن الله تعالى خص من شاء برحمته واختص آخر بعذابه» اهـ.

وقال تاج الدين السبكى في طبقات الشافعية الكبرى: أبو الحسن الأشعرى كبير أهل السنة بعد الامام أحمد بن حنبل وعقيدته

وعقيدة الامام أحمد رحمه الله واحدة لاشك في ذلك ولا ارتياب وبه صرح الأشعري في تصانيفه وذكره غير مامرة من أن عقيدتى هي عقيدة الامام المبجل أحمد بن حنبل، هذه عبارة الشيخ أبي الحسن في غير موضع من كلامه» ا هـ.

وفضائل أبى الحسن الأشعري ومناقبه أكثر من أن يمكن حصرها في هذه العجالة، ومن وقف على تواليفه بعد توبته من الاعتزال رأى أن الله تعالى قد أمده بمواد توفيقه، واقامه لنصرة الحق والذب عن طريقه.

وقد تنازع فيه أهل المذاهب، فالمالكى يدعى أنه مالكى، والشافعى يزعم أنه شافعي. والحنفى كذلك. قال ابن عساكر: لقيت الشيخ الفاضل رافعاً الحمال الفقيه، فذكر لى عن شيوخه أن أبا الحسن الأشعري كان مالكيا فنسب من تعلق اليوم بمذهب أهل السنة وتفقه في معرفة أصول الدين من سائر المذاهب. إلى الأشعرى لكثرة تواليفه وكثرة قراءة الناس لها.

قال ابن فورك: توفى أبو الحسن الأشعري سنة ٣٢٤هـ. اهـ.

وبعد ذكر هذه النتفة من ترجمة هذا الامام نذكر ما يلي اثبات رجوعه عن الاعتزال واثبات نسبة الابانة إليه ننقل ذلك من المراجع الموثوق بها، فنقول وبالله التوفيق.

رجوع أبي الحسن الأشعرى عن الاعتزال إلى عقيدة السلف

قال الحافظ مؤرخ الشام أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقى المتوفي سنة ٥٧١هـ في كتابه «التبيين». قال أبوبكر اسماعيل بن أبي محمد بن اسحق الآزدى القير واني المعروف بأن عزرة: أن أبا الحسن الأشعرى كان معتزلياً وأنه أقام على مذهب الاعتزال أربعين سنة، وكان لهم إماماً ثم غاب عن الناس في بيته خمسة عشر يوماً، فبعد ذلك خرج إلى الجامع بالبصرة فصعد المنبر بعد صلاة الجمعة، وقال: معاشر الناس إني انما تغيبت عنكم في هذه المدة لأني نظرت فتكافأت عندي الأدلة ولم يترجح عندي حق على باطل ولا باطل على حق، فاستهديت الله تبارك وتعالى فهدانى إلى ما أودعته في كتبى هذه، وانخلعت من جميع ما كنت أعتقده، كما انخلعت من ثوبي هذا، وانخلع من ثوب كان عليه ورمى به ودفع الكتب إلى الناس، فمنها كتاب اللمع وغيره من تواليفه الآتى ذكر بعضها قريبا ان شاء الله: فلما قرأ تلك الكتب أهل الحديث والفقه من أهل السنة والجماعة أخذوا بما فيها وانتحلوه واعتقدوا تقدمه واتخذوه إماما حتى نسب مذهبهم إليه فصار عند المعتزلة ككتابى اسلم وأظهر عوار ما تركه فهو أعدى الخلق إلى أهل الذمة.

وكذلك أبو الحسن الأشعري أعدى الخلق إلى المعتزلة، فهم يشنعون عليه وينسبون إليه الأباطيل وليس طول مقام أبى الحسن الأشعرى على مذهب المعتزلة، مما يفضى به إلى انحطاط المنزلة، بل يقضي له في معرفة الأصول بعلو المرتبة ويدل عند ذوى البصائر له على سمو المنقبة، لأن من رجع عن مذهب كان بعواره أخير وعلى رد شبه أهله وكشف تمويهاتهم أقدر، وبتبيين ما يلبسون به لمن يهتدي باستبصاره أبصر، فاستراحة من يعيره بذلك كاستراحة مناظر هرون بن موسى الأعور.

وقصته أن هارون الأعور كان يهودياً فأسلم وحسن اسلامه وحفظ القرآن وضبطه وحفظ النحو، وناظره انسان يوما في مسألة فغلبه هرون فلم يدر المغلوب ما يصنع فقال له: أنت كنت يهودياً فأسلمت فقال له هرون فبئس ما صنعت فغلبه هرون فى هذا. وأنفق أصحاب الحديث أن أبا الحسن الأشعرى كان إماما من أئمة أصحاب الحديث، ومذهبه مذهب أصحاب الحديث، تكلم في أصول الديانات على طريقة أهل السنة ورد على المخالفين من أهل الزيغ والبدعة، وكان على المعتزلة والروافض والمبتدعين من أهل القبلة والخارجين عن الملة ـ سيفا مسلولا ومن طعن فيه أو سبه فقد بسط لسان السوء في جميع أهل السنة، ولم يكن أبو الحسن الأشعري أول متكلم بلسان أهل السنة وإنما جرى على سنن غيره وعلى نصرة مذهب معروف، فزاده حجة وبياناً، ولم يبتدع مقالة اخترعها ولا مذهباً انفرد به وليس له فى المذهب أكثر من بسطه وشرحه كغيره من الأئمة.

وقال أبوبكر بن فورك: رجع أبو الحسن الأشعرى عن الاعتزال إلى مذهب أهل السنة سنة ٣٠٠هـ.

وممن قال من العلماء برجوع الأشعري عن الاعتزال أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر بن خلكان الشافعى المتوفى سنة ٦٨١هـ قال في «وفيات الأعيان» الجزء الثانى صفحة ٤٤٦: كان أبو الحسن الأشعري معتزليا ثم تاب.

ومنهم عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي الشافعي المتوفى سنة ٧٧٤هـ.

قال في البداية والنهاية الجزء الحادى عشر صفحة ١٨٧: «ان الأشعرى كان معتزلياً فتاب منه بالبصرة فوق المنبر ثم أظهر فضائح المعتزلة وقبائحهم».

ومنهم شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الدمشقى الشافعي الشهير بالذهبى المتوفي سنة ٧٤٨ قال في كتابه «العلو للعلى الغفار».

كان أبو الحسن أولا معتزليا أخذ عن أبى الجبائى ثم نابذه ورد عليه وصار متكلما للسنة، ووافق أئمة الحديث، فلو انتهى أصحابنا المتكلمون إلى مقالة أبى الحسن ولزموها ـ لأحسنوا ولكنهم خاضوا كخوض حكماء الأوائل في الأشياء ومشوا خلف المنطق فلا قوة إلا بالله».

وممن قال برجوعه تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن تقى الدين السبكى الشافعى المتوفى سنة ٧٧١هـ قال في طيقات الشافعية الكبرى، الجزء الثاني صفحة ٢٤٦: أقام أبو الحسن على الاعتزال أربعين سنة حتى صار للمعتزلة إماماً فلما أراده الله لنصرة دينه وشرح صدره لاتباع الحق غاب عن الناس في بيته، وذكر كلام ابن عساكر المتقدم بحروفه.

ومنهم برهان الدين إبراهيم بن على بن محمد بن فرحون اليعمري المدني المالكى المتوفي سنة ٧٩٩هـ قال في كتابه «الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب» صفحة١٩٣ كان أبو الحسن الأشعري في ابتداء أمره معتزلياً، ثم رجع إلى هذا المذهب الحق، ومذهب أهل السنة فكثر التعجب منه وسئل عن ذلك فأخبر أنه رأى النبى ﷺ في رمضان فأمره بالرجوع إلى الحق ونصره، فكان ذلك والحمد لله تعالى.

ومنهم السيد محمد بن محمد الحسينى الزبيدى الشهير بمرتضى، قال في كتابه «اتحاف السادة المتقين بشرح أسرار احياء علوم الدين» الجزء الثانى صفحة٣، قال أبو الحسن الأشعري أخذ علم الكلام عن الشيخ أبى على الجبائى شيخ المعتزلة. ثم فارقه لمنام رآه،

ورجع عن الاعتزال، وأظهر ذلك اظهاراً. فصعد منبر البصرة يوم الجمعة ونادى بأعلى صوته. من عرفنى فقد عرفنى ومن لم يعرفنى، أنا فلان ابن فلان كنت أقول بخلق القرآن، وأن الله لا يرى في الدار الآخرة بالأبصار وأن العباد يخلقون أفعالهم. وها أنا تائب من الاعتزال معتقداً الرد على المعتزلة، ثم شرع في الرد عليهم والتصنيف على خلافهم.

ثم قال: قال ابن كثير: ذكروا للشيخ أبى الحسن الأشعرى ثلاثة أحوال.

أولها حال الاعتزال التى رجع عنها لا محالة.

والحال الثاني اثبات الصفات العقلية السبعة، وهي الحياة، والعلم، والقدرة، والارادة، والسمع، والبصر، والكلام، وتأويل الخبرية كالوجه واليدين والقدم والساق ونحو ذلك.

والحال الثالث اثبات ذلك كله من غير تكييف ولا تشبيه جرياً على منوال السلف وهي طريقته في الابانة التي صنفها آخراً.

وبهذه النقول عن هؤلاء الاعلام ثبت ثبوتاً لاشك فيه ولامرية أن أبا الحسن الأشعرى استقر أمره بعد أن كان معتزلياً على عقيدة السلف التى جاء بها القرآن الكريم وسنة النبى عليه أزكى الصلاة وأتم التسليم.

وبعد اتمام هذا الحديث حول رجوعه عن الاعتزال نقر بحثاً ثانياً في صحة نسبة «الإبانة في أصول الديانة» إليه رداً على بعض الأغمار الذين زعموا إنها **مدسوسة عليه ـ وهذا هو بيت القصيد فنقول: وبالله نستعين.**

ثبوت نسبة الإبانة إلى أبي الحسن الأشعري والرد على من أنكر ذلك وزعم إنها مدسوسة عليه.

وقبل البحث في صحة نسبة هذا الكتاب إلى أبي الحسن الأشعري نذكر نبذة قليلة من تواليفه التي ألفها بعد توبته من الاعتزال.

فنقول: قال الحافظ ابن عساكر في كتابه «تبيين كذب المفتري» ذكر ابن حزم الظاهري أن لأبي الحسن الأشعري خمسة وخمسين تصنيفاً، ثم قال: ترك ابن حزم من عدد مصنفاته أكثر من مقدار النصف، وبعد ذلك سردها فقال:

منها كتاب اللمع، وكتاب أظهر فيه عوار المعتزلة سماه بكتاب «كشف الأسرار وهتك الأستار».

ومنها تفسيره المختزن، وهو خمسمائة مجلد لم يترك فيه آية تعلق بها بدعي إلا أبطل تعلقه بها، وجعلها حجة لأهل الحق، وبين المجمل وشرح المشكل ونقض فيه ما حرفه الجبائي والبلخي في تفسيريهما.

ومنها الفصول في الرد على الملحدين والخارجين على الملة كالفلاسفة والطبائعيين والدهريين وأهل التشبيه.

ومنها مقالات المسلمين استوعب فيه جميع اختلافهم ومقالاتهم وذكرها الحافظ ابن عساكر بأسمائها وموضوعاتها في كتابه التبيين من صفحة ١٢٨ إلى صفحة ١٣٦، وقد أطلعت أنا الجامع لهذه الرسالة على ثلاثة من الكتب المذكورة. وهي مطبوعة: اللمع، والإبانة. والمقالات الاسلامية.

وقال ابن عساكر في صفحة ٢٨ من التبيين. وتصانيف أبي الحسن الأشعري بين أهل العلم مشهورة معروفة؛ وبالاجادة والاصابة للتحقيق عند المحققين موصوفة، ومن وقف على كتابه المسمى بالإبانة، عرف موضعه من العلم والديانة.

ثم قال في صفحة ١٥٢ : فإذا كان أبو الحسن كما ذكر عنه من حسن الاعتقاد، مستصوب المذهب عند أهل المعرفة بالعلم والانتقاد يوافقه في أكثر ما يذهب إليه أكابر العباد، ولا يقدح في معتقده غير أهل الجهل والعناد، فلابد أن نحكي عنه معتقده على وجهه بالأمانة، ونتجنب أن نزيد فيه أو ننقص منه تركا للخيانة، لتعلم حقيقة حاله في صحة عقيدته في أصول الديانة، فاسمع ما ذكره في أول كتابه الذي سماه بالإبانة ونذكر ما يأتي في آخر الرسالة إنشاء الله تعالى :

ثم قال في صفحة ١٧١ في جملة أبيات نسبها لبعض المعاصرين له :

لو لم يصنف عمره ... غير الإبانة واللمع
لكفى فكيف وقد ... تفنن في العلوم بما جمع
مجموعة تربي على المئتـ ... ـين مما قد صنع
لم يأل في تصنيفها ... اخذاً بأحسن ما استمع
فهدى بها المسترشد ... ين ومن تصفحها انتفع
تتلى معاني كتبه ... فوق المنابر في الجمع
ويخاف من افحامه ... أهل الكنائس والبيع
فهو الشجاعي حلق من ... ترك المحجة وابتدع

وممن عزا الإبانة إلى أبي الحسن الأشعري، الحافظ الكبير أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي الشافعي المتوفي سنة ٤٥٨ .

قال في كتاب (الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد) في باب القول في القرآن صفحة ٣١، ذكر الشافعي رحمه الله ما دل على أن ما نتلوه من القرآن بألسنتنا ونسمعه بآذاننا، ونكتبه في مصاحفنا يسمى كلام الله عز وجل ؛ وان الله عز وجل كلم به عباده بأن أرسل به رسوله ﷺ، وبمعناه ذكره أيضاً على بن إسماعيل في كتاب الإبانة .

وقال في صفحة ٣٢ من الكتاب المذكور آنفاً: قال أبو الحسن علي بن إسماعيل في كتابه، يعني الإبانة.

فإن قال قائل حدثونا تقولون إن كلام الله عزوجل في اللوح المحفوظ، قيل له نقول ذلك، لأن الله قال ﴿**بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ**﴾ فالقرآن في اللوح المحفوظ وهو في صدور الذين أوتوا العلم، وهو متلو بالألسنة قال تعالى: ﴿**لا تحرك به لسانك**﴾ والقرآن مكتوب في مصاحفنا في الحقيقة محفوظ في صدورنا في الحقيقة متلو بألسنتنا في الحقيقة. مسموع لنا في الحقيقة كما قال تعالى: ﴿**فأجره حتى يسمع كلام الله**﴾ ثم قال في صفحة ٢٦ بعد سرد الأدلة على أن القرآن كلام الله غير مخلوق.

وقد احتج على ابن إسماعيل الأشعري رحمه الله بهذه الفصول اهـ من نسخة مخطوطة يرجع تاريخ خطها إلى سنة ١٠٨٦هـ (١).

وممن ذكر الإبانة وعزاها لأبي الحسن الأشعري الحافظ المعروف بالذهبي قال في كتابه «العلو للعلي الغفار» صفحة ٢٧٨:

قال الأشعري في كتاب (الإبانة في أصول الديانة) له في باب الاستواء:

فإن قال قائل: ما تقولون في الاستواء.

قيل نقول أن الله مستو على عرشه كما قال: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ إلى آخر ما في الإبانة.

ثم قال: وكتاب الإبانة من أشهر تصانيف أبي الحسن الأشعري شهره الحافظ ابن عساكر واعتمد عليه ونسخه بخط الإمام محيي الدين النواوي.

وذكر الذهبي عن الحافظ أبي العباس أحمد بن ثابت الطرقي إنه قال: قرأت في كتاب أبي الحسن الأشعري الموسوم بالإبانة أدلة

---

(١) وهي محفوظة لدى الأخ اسماعيل الأنصاري طبعت في مصر قريباً.

على إثبات الاستواء. ونقل عن أبي علي الدقاق إنه سمع زاهر بن أحمد الفقيه يقول: مات الأشعري رحمه الله ورأسه في حجري فكان يقول شيئاً في حال نزعه. لعن الله المعتزلة موهوا ومخرقوا اه كلام البيهقي.

وممن نسبها إلى أبي الحسن الأشعري ابن فرحون المالكي قال في كتابه الديباج صفحة ١٩٣: إلى ص ١٩٤ ولأبي الحسن الأشعري كتب منها كتاب اللمع الكبير، وكتاب اللمع الصغير، وكتاب الإبانة في أصول الديانة اه.

وممن عزاها لأبي الحسن الأشعري أبو الفلاح عبد الحي ابن العماد الحنبلي المتوفي سنة ٨٩هـ.

قال في الجزء الثاني من كتابه، «شذرات الذهب في أعيان من ذهب» صفحة ٣٠٣، قال أبو الحسن الأشعري في كتابه «الإبانة في أصول الديانة» وهو آخر كتاب صنفه. وعليه يعتمد أصحابه في الذب عنه عند من يطعن عليه، ثم ذكر فصلا كاملا من الإبانة.

وممن عزاها لأبي الحسن الأشعري السيد مرتضى الزبيدي.

قال في (اتحاف السادة المتقين بشرح أسرار احياء علوم الدين) في الجزء الثاني صفحة ٢ قال: صنف أبو الحسن الأشعري بعد رجوعه من الاعتزال الموجز، وهو في ثلاث مجلدات، كتاب مفيد في الرد على الجهمية والمعتزلة؛ ومقالات الاسلاميين، وكتاب الإبانة.

وقد تقدم حكاية عن ابن كثير أن الإبانة هي آخر كتاب صنفه أبو الحسن الأشعري.

وممن ذكر أن الإبانة تأليف أبي الحسن الأشعري أبو القاسم عبد الملك بن عيسى بن درباس الشافعي قال في رسالته (الذب عن أبي الحسن الأشعري) اعلموا معشر الاخوان ان كتاب الإبانة عن أصول الديانة، الذي ألفه الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل

الأشعري هو الذي استقر عليه أمره فيما كان يعتقده وبه كان يدين الله سبحانه وتعالى بعد رجوعه من الاعتزال بمن الله ولطفه، وكل مقالة تنسب إليه الآن مما يخالف ما فيه فقد رجع عنها وتبرأ إلى الله سبحانه منها وكيف وقد نص فيه على إنه ديانته التي يدين الله سبحانه بها.

وروى وأثبت إنه ديانة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث الماضين وقول أحمد بن حنبل رضي الله عنهم أجمعين.

وأن ما فيه هو الذي يدل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فهل يسوغ أن يقال: إنه رجع عن هذا إلى غيره فإلى ماذا يرجع أنراه يرجع عن كتاب الله وسنة نبي الله خلاف ما كان عليه الصحابة والتابعون وأئمة الحديث المرضيون وقد علم أنه مذهبهم، ورواه عنهم؟؟!! هذا لعمري ما لا يليق نسبته إلى عوام المسلمين وكيف بأئمة الدين أو هل يقال: إنه جهل فيما نقله عن السلف الماضين مع إفنائه جل عمره في استقراء المذاهب وتعرف الديانات، هذا مما لا يتوهمه منصف، ولا يزعمه إلا مكابر مسرف، وقد ذكر الإبانة واعتمد عليها وأثبتها عن الإمام أبى الحسن الأشعري وأثنى عليه بما ذكره فيها وبرأه من كل بدعة نسبت إليه، ونقل منها إلى تصنيفه جماعة من الأئمة الأعلام من فقهاء الإسلام وأئمة القراء وحفاظ الحديث وغيرهم.

وذكر ابن درباس طائفة من الذين قدمنا ذكرهم وزاد الحافظ أبا العباس أحمد بن ثابت العراقي، وذكر عنه أنه قال في بيان مسألة الاستواء من تأليفه رأيت هؤلاء الجهمية ينتمون في نفي علو الله على العرش وتأويل الاستواء إلى أبي الحسن الأشعري، وما هذا بأول باطل ادعوه وكذب تعاطوه، فقد قرأت في كتابه الموسوم بالإبانة عن أصول الديانة أدلة من جملة ما ذكرته على إثبات الاستواء، ومنهم الإمام الأستاذ الحافظ أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد الصابوني ذكر عنه أنه ما كان يخرج إلى مجلس درسه إلا بيده كتاب الإبانة لأبي الحسن الأشعري ويظهر الاعجاب بها، ويقول ما الذى

ينكر على من هذا الكتاب شرح مذهبه (هذا قول الإمام أبى عثمان وهو من أعيان أهل الأثر بخرسان).

ومنهم إمام القراء أبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم الفارسي ذكر الإمام أبا الحسن الأشعري رحمة الله عليه فقال: وله كتاب في السنة سماه كتاب الإبانة صنفه ببغداد لما دخلها، وذكر ابن درباس أنه وجد كتاب الإبانة في كتب أبي الفتح نصر المقدسي ـ رحمه الله ببيت المقدس وقال رأيت في بعض تآليفه في الأصول فصولا منها بخطه.

ومنهم الفقيه أبو المعالى مجلى صاحب كتاب الذخائر في الفقه، قال ابن درباس أنبأني غير واحد عن الحافظ أبي محمد المبارك بن علي البغدادي ونقلته أنا من خطه في آخر كتاب الإبانة قال نقلت هذا الكتاب جميعه من نسخة كانت مع الشيخ الفقيه المجلى الشافعي أخرجها في مجلده فنقلتها وعارضت بها وكان رحمه الله يعتمد عليها وعلى ما ذكره فيها ويقول لله من صنفه ويناظر على ذلك من ينكره وذكر ذلك لي وشافني به قال: هذا مذهبي وإليه أذهب نقلت هذا في سنة ٥٤٠هـ بمكة وهذا آخر ما نقلت من خط ابن الطباخ. وذكر فيمن عزاها إلى أبي الحسن أبا محمد بن علي البغدادي نزيل مكة قال ابن درباس شاهدت نسخة من كتاب الإبانة بخطه من أوله إلى آخره، وهي بيد شيخنا الإمام رئيس العلماء الفقيه الحافظ العلامة أبي الحسن بن المفضل المقدسي ونسخت منها نسخة، وقابلتها عليها بعد أن كنت كتبت نسخة أخرى مما وجدته في كتاب الإمام نصر المقدسي ببيت المقدس ولقد عرضها بعض أصحابنا على عظيم من عظماء الجهمية المنتمين افتراءاً إلى أبي الحسن الأشعري ببيت المقدس فأنكرها وجحدها وقال ما سمعنا بها قط ولا هي من تصنيفه واجتهد آخراً في أعمال رويته ليزيل الشبهة بفطنته فقال بعد تحريك لحيته لعله ألفها لما كان حشوياً، قال ابن درباس فما دريت من أي أمريه أعجب أمن جهله بالكتاب مع شهرته وكثرة من ذكره في تصانيفه من العلماء أو

من جهله بحال شيخه الذي يفترى عليه بانتمائه إليه، واشتهاره قبل توبته من الاعتزال بين الأمة عالمها وجاهلها، فإذا كانوا بحال من ينتمون إليه بهذه المثابة فكيف يكونون بحال السلف الماضين وأئمة الدين من الصحابة والتابعين وأعلام الفقهاء والمحدثين وهم لا يلون على كتبهم ولا ينظرون في آثارهم وهم والله بذلك أجهل وأجهل كيف لا وقد قنع بعض من ينتمى منهم إلى أبي الحسن الأشعري بمجرد دعواه وهو في الحقيقة مخالف لمقالة أبي الحسن التي رجع إليها واعتمد في تدينه عليها قد ذهب صاحب التأليف إلى المقالة الأولى، وكان خلاف ذلك أحرى به وأولى لتستمر القاعدة وتصير الكلمة واحدة. اهـ . كلام ابن درباس رحمه الله.

وممن ذكر الإبانة ونسبها إلى أبي الحسن الأشعري تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الشهير بابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨هـ ، قال في الفتوى الحموية الكبرى صفحة ٧٠: قال أبو الحسن الأشعري في كتابه الذي سماه الإبانة في أصول الديانة وقد ذكر أصحابه أنه آخر كتاب صنفه وعليه يعتمدون في الذب عنه عند من يطعن عليه فقال: فصل في إبانة قول أهل الحق والسنة وذكر ما في أول كتاب الإبانة بحروفه وسيأتي ذكره إنشاء الله قريباً.

وممن عزاها إلى أبي الحسن الأشعري شمس الدين أبوعبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي المعروف بابن قيم الجوزية الحنبلي الدمشقي المتوفي سنة ٧٥٠هـ قال في كتابه اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو المعطلة والجهمية الطبعة الهندية صفحة ١١١ قال شيخ الاسلام ابن تيمية ولما رجع الأشعري من مذهب المعتزلة سلك طريق أهل السنة والحديث وانتسب إلى الإمام أحمد بن حنبل كما ذكر ذلك في كتبه كلها كالإبانة والموجز والمقالات وغيرها. ثم قال ابن القيم: وأبو الحسن الأشعري وأئمة أصحابه كالحسن الطبري وأبي عبد الله بن المجاهد والقاضي أبي بكر الباقلاني متفقون على إثبات الصفات

الخبرية التي ذكرت في القرآن كالاستواء والوجه واليدين وعلى إبطال تأويلها وليس للأشعري في ذلك قولان أصلا، ولم يذكر أحد عن الأشعري في ذلك قولين ولكن لاتباعه قولان في ذلك.

ولأبي المعالي الجويني في تأويلها قولان: أولها في الارشاد ورجع عن تأويلها في رسالته النظامية وحرمه، ونقل اجماع السلف على تحريمه وأنه ليس بواجب ولا جائز، ثم ذكر ابن القيم قول أبي الحسن الأشعري إمام الطائفة الأشعرية، ثم قال: نذكر كلامه فيما وقفنا عليه من كتبه كالموجز والإبانة والمقالات.

وقال ابن القيم في قصيدته النونية التي سماها الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية الطبعة المصرية صفحة ٦٨ والأشعري قال تفسير استوى بحقيقة استولى من البهتان.

هو قول أهل الاعتزال وقول اتباع جهم وهو ذو بطلان
في كتبه قد قال ذا من موجز وإبانة ومقالة ببيان

وقال في صفحة ٦٩ من الكتاب المذكور آنفاً:

وحكى ابن عبدالبر في تمهيده وكتاب الاستذكار غير جبان
إجماع أهل العلم أن الله فوق العرش بالايضاح والبرهان
وأتى هناك بما شفى أهل الهدى لكنه مرض على العميان
وكذا علي الأشعري فإنه في كتبه قد جاء بالتبيان
من مؤجز وإبانة ومقالة ورسائل للثغر ذات بيان
وأتى بتقرير استواء الرب فوق العرش بالايضاح والبرهان
وأتى بتقرير العلو بأحسن التقر ير فانظر كتبه بعيان: انتهى

قلت هذه نقول الأئمة الأعلام التي تضمنت بالصراحة التي لا يتناطح عليها عنزان أن كتاب الإبانة ليس مدسوساً على أبي الحسن الأشعري كما زعمه الأغمار من المقلدة بل هو من تواليفه التي ألفها أخيراً واستقر أمره على ما فيها من عقيدة السلف التي جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية.

وبعـد هذا رغبت أن اتحف القـارىء بقطعـة من عقيـدة هذا الإمـام التي رجـع إليها وذكرها في إبانته، أذكرها بفصها ونصها ليظهر لكـل منصف قرأهـا بفهم أن أبـا الحسن الأشعـري تاب من التعطيل والتأويـل كما انـه ليس بممثـل بل هو مثبت ومعتقد كل ما أخبر الله به عن نفسـه في كتـابـه أو أخبر به عنه نبيه عليه الصلاة والسلام من غير تعطيل ولا تأويل ولا تمثيل.

• فأقـول قال أبـو الحسن الأشعـري في إبـانته (باب في إبانة قول أهل الحق والسنة).

فإن قال لنـا قائـل قد أنكـرتم قول المعتـزلـة والقدرية والجهمية والحـروريـة والـرافضـة والمـرجئـة، فعـرفـونـا قولكم الذي به تقولون وديانتكم التي بها تدينون.

قيـل له: قولنـا الـذي نقـول به وديانتنا التي ندين بها التمسك بكتاب ربنا عز وجل وسنة نبينا عليه السلام، وما روى عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته قائلون، ولما خالف قوله مخالفون، لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكـامـل الـذي أبـان الله به الحق ورفـع به الضلال وأوضح به المنهاج وقمـع به بدع المبتـدعين وزيغ الزائغين وشك الشاكين فرحمة الله عليه من إمام مقدم وجليل معظم مفخم.

وجملة قولنا إنا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله وبما جاءوا به من عند الله وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ لا نرد من ذلك شيئاً.

وان الله عز وجـل إلـه واحـد لا إلـه إلا هو فرد صمـد لم يتخـذ صاحبة ولا ولدا.

وان محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق، وان الساعة آتية لا ريب فيها.

وأن الله يبعث من في القبور، وأن الله مستو على عرشه كما قال ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾.

وأن له وجهاً كما قال: ﴿**ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام**﴾.

وان له يدين بلا كيف كما قال: ﴿**لما خلقت بيدي**﴾ وكما قال: ﴿**بل يداه مبسوطتان**﴾.

وان له عينين بلا كيف كما قال: ﴿**تجري بأعيننا**﴾.

وان من زعم أن أسماء الله غيره كان ضالا.

وان لله علما كما قال: ﴿**أنزله بعلمه**﴾ وكما قال: ﴿**وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه**﴾.

ونثبت لله السمع والبصر ولا ننفي ذلك كما نفته المعتزلة والجهمية والخوارج.

ونثبت أن لله قوة كما قال: ﴿**أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة**﴾ ونقول أن كلام الله غير مخلوق وانه لم يخلق شيئاً إلا وقد قال له كن كما قال: ﴿**إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون**﴾.

وانه لا يكون في الأرض شيء من خير وشر إلا ما شاء الله.

وان الأشياء تكون بمشيئة الله عز وجل وان أحداً لا يستطيع أن يفعل شيئاً قبل أن يفعله ولا يستغنى عن الله ولا يقدر على الخروج عن علم الله عز وجل، وانه لا خالق إلا الله، وان أعمال العبد مخلوقة لله مقدرة كما قال: ﴿**والله خلقكم وما تعملون**﴾ وان العباد لا يقدرون أن يخلقوا شيئاً وهم يخلقون كما قال: ﴿**هل من خالق غير الله**﴾ وكما قال: ﴿**لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون**﴾ وكما قال: ﴿**أفمن يخلق كمن لا يخلق**﴾ وكما قال: ﴿**أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون**﴾ وهذا

في كتاب الله كثير، وان الله وفق المؤمنين لطاعته ولطف بهم ونظر لهم وأصلحهم وهداهم وأضل الكافرين ولم يهدهم ولم يلطف بهم بالآيات؛ كزعم أهل الزيغ والطغيان ولو لطف بهم وأصلحهم لكانوا مهتدين.

وإن الله يقدر أن يصلح الكافرين ويلطف بهم حتى يكونوا مؤمنين ولكنه أراد أن يكونوا كافرين كما علم، وخذلهم وطبع على قلوبهم.

وإن الخير والشر بقضاء الله وقدره، وإنا نؤمن بقضاء الله وقدره خيره وشره حلوه ومره ونعلم أن ما أخطأنا لم يكن ليصيبنا وأن ما أصابنا لم يكن ليخطئنا.

وأن العباد لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً إلا بالله كما قال عز وجل.

ونلجىء في أمورنا إلى الله ونثبت الحاجة والفقر في كل وقت إليه.

ونقول إن كلام الله غير مخلوق، وان من قال بخلق القرآن فهو كافر.

ونـدين بأن الله تعالى يرى في الآخرة بالأبصار كما يرى القمر ليلة البدر يراه المؤمنون كما جاءت الروايات عن رسول الله ﷺ.

ونقول: إن الكافرين محجوبون عنه إذا رآه المؤمنون في الجنة كما قال عز وجل: ﴿**كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون**﴾.

وأن موسى عليه السلام سأل الله عزوجل الرؤية في الدنيا، وأن الله سبحانه تجلى للجبل فجعله دكا فأعلم بذلك موسى أنه لا يراه في الدنيا.

ونـدين بأن لا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب يرتكبه كالزنا والسرقة وشرب الخمور كما دانت بذلك الخوارج وزعمت أنهم كافرون.

ونقول إن من عمل كبيرة من هذه الكبائر مثل الزنا والسرقة وما أشبههما مستحلا لها غير معتقد لتحريمها كان كافراً.

ونقول إن الإسلام أوسع من الإيمان وليس كل إسلام إيماناً.

وندين الله عز وجل بأنه يقلب القلوب بين أصبعين من أصابع الله عز وجل.

وأنه عز وجل يضع السموات على إصبع والأرضين على إصبع كما جاءت الرواية عن رسول الله ﷺ.

وندين بأن لا ننزل أحداً من أهل التوحيد والمتمسكين بالإيمان جنة ولا ناراً إلا من شهد له رسول الله ﷺ بالجنة.

ونرجوا الجنة للمذنبين ونخاف عليهم أن يكونوا بالنار معذبين.

ونقول إن الله عز وجل يخرج قوماً من النار بعد أن امتحشوا بشفاعة الرسول ﷺ تصديقاً لما جاءت به الروايات عن الرسول ﷺ.

ونؤمن بعذاب القبر، وبالحوض.

وأن الميزان حق، والصراط حق، والبعث بعد الموت حق، وأن الله عز وجل يوقف العباد في الموقف ويحاسب المؤمنين.

وأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص.

ونسلم الروايات الصحيحة عن رسول الله ﷺ التي رواها الثقات عدل عن عدل حتى ينتهي إلى رسول الله ﷺ.

وندين بحب السلف الذين اختارهم الله عز وجل لصحبة نبيه عليه السلام ونثني عليهم بما أثنى الله به عليهم ونتولاهم أجمعين.

ونقول إن الإمام الفاضل بعد رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق رضوان الله عليه.

وإن الله عز به الدين وأظهره على المرتدين وقدمه المسلمون بالإمامة كما قدمه رسول الله ﷺ للصلاة وسموه جميعهم خليفة رسول الله ﷺ.

ثم عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ثم عثمان بن عفان رضي الله عنه وإن الذين قاتلوه قاتلوه ظلماً وعدوانا.

ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

فهؤلاء الأئمة بعد رسول الله ﷺ وخلافتهم خلافة النبوة ونشهد بالجنة للعشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بها، ونتولى سائر أصحاب النبي ﷺ ونكف عما شجر بينهم.

وندين الله بأن الأئمة الأربعة خلفاء راشدون مهديون فضلاء لا يوازيهم في الفضل غيرهم.

ونصدق بجميع الروايات التي يثبتها أهل النقل من النزول إلى السماء الدنيا، وان الرب عز وجل يقول هل من سائل، هل من مستغفر، وبسائر ما نقلوه وأثبتوه خلافاً لما قال أهل الزيغ والتضليل، ونعول فيما اختلفنا فيه على كتاب ربنا وسنة نبينا وإجماع المسلمين وما كافي معناه: ولا نبتدع في دين الله ما لم يأذن لنا، ولا نقول على الله ما لا نعلم.

ونقول إن الله عز وجل يجيء يوم القيامة كما قال: ﴿**وجاء ربك والملك صفاً صفاً**﴾.

وان الله عز وجل يقرب من عباده كيف شاء كما قال: ﴿**ونحن أقرب إليه من حبل الوريد**﴾ وكما قال: ﴿**ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى**﴾.

ومن ديننا أن نصلي الجمعة والأعياد وسائر الصلوات والجماعات خلف كل بر وغيره. كما روي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان يصلي خلف الحجاج.

وان المسح على الخفين سنة في الحضر والسفر خلافاً لمن أنكر ذلك. ونرى الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح والاقرار بإمامتهم وتضليل من رأى الخروج عليهم إذا ظهر منهم ترك الاستقامة.

وندين بانكار الخروج بالسيف وترك القتال في الفتنة ونقر بخروج الدجال كما جاءت به الرواية عن رسول الله ﷺ.

ونؤمن بعذاب القبر ونكير ومنكر ومسائلتهما المدفونين بقبورهم. ونصدق بحديث المعراج.

ونصحح كثيراً من الرؤيا في المنام ونقر أن لذلك تفسيراً.

ونرى الصدقة عن موتى المسلمين والدعاء لهم: ونؤمن أن الله ينفعهم بذلك، ونصدق بأن في الدنيا سحرة وسحراً، وان السحر كائن موجود في الدنيا.

وندين بالصلاة على من مات من أهل القبلة برهم وفاجر وتوارثهم.

ونقر أن الجنة والنار مخلوقتان، وأن من مات وقتل فبأجله مات وقتل، وإن الأرزاق من قبل الله يرزقها عباده حلالا وحراماً وان الشيطان يوسوس للإنسان ويسلكه ويتخبطه خلافاً لقول المعتزلة والجهمية كما قال الله عز وجل: ﴿**الذين يأكلون الربى لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس**﴾ وكما قال: ﴿ **من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس**﴾.

ونقول ان الصالحين يجوز أن يخصهم الله عز وجل بآيات يظهرها عليهم. وقولنا في أطفال المشركين ان الله يؤجج لهم في الآخرة ناراً ثم يقول لهم اقتحموها كما جاءت بذلك الرواية وندين الله عز وجل بأنه يعلم ما العباد عاملون وإلى ما هم صائرون وما كان وما يكون وما لا يكون ان لوكان كيف كان يكون، وبطاعة الأئمة

ونصيحة المسلمين، ونرى مفارقة كل داعية إلى بدعته ومجانبة أهل الهوى. انتهى بحروفه.

هذا مجمل عقيدة الإمام أبي الحسن الأشعري التي استقر أمره عليها بعد أن أقام على مذهب الاعتزال أربعين عاماً. ذكره في أول كتابه الإبانة وفصله باباً باباً فراجعها إن شئت تجد ما يشفي ويكفي.

فتأمل أيها الأخ المنصف هذه العقيدة ما أوضحها وابينها واعترف بفضل هذا الإمام العالم الذي شرحها وبينها وانظر سهولة لفظها فما أفصحه وأحسنه. وكن ممن قال الله فيهم ﴿**الذين يستعمون القول فيتبعون أحسنه**﴾ وتبين فضل أبي الحسن الأشعري واعرف أنصافه واسمع وصفه للإمام أحمد بن حنبل بالفضل لتعلم انهما كانا في الاعتقاد متفقين وفي أصول الدين ومذهب السنة غير مفترقين.

ولعمري أن هذه العقيدة ينبغي لكل مسلم أن يعتقدها ولا يخرج عن شيء منها إلا من في قلبه غش ونكد.

نسأل الله تعالى الثبات عليها ونستودعها عند من لا تضيع عنده وديعة. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله وسلم على نبينا محمد معلم الخيرات وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم تجزى فيه الحسنات.

مقدمة الناشر

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، صلى الله تعالى عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، وعلى تابعيهم باحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد، فهذا كتاب «**الإبانة عن أصول الديانة**» للإمام علي بن اسماعيل بن اسحاق أبي الحسن الأشعري رحمه الله من نسل الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، نقدمه للناس في وقت أحوج ما نكون فيه إلى تصحيح عقائد المسلمين، والرجوع فيها إلى النبع الصافي، من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وكتابه هذا يعطينا صورة صادقة لما كانت عليه عقيدة الأمة في قرونها الخيرة التي تلقوها عن أئمتهم، أخذاً من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وتبين كيف بثوها بين الناس ودعوا إليها، وذبوا عنها، وامتحنوا من أجلها.

وذكر على سبيل المثال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله إمام أهل السنة في عصره، وما امتحن به من أجل عقيدة الاسلام من قبل المعتزلة الذين حاولوا أن يحكموا عقولهم ويقدِّموها على كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه

وآله وسلم، لذلك قال الأشعري في أول كتابه: (وقولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب ربنا عز وجل وسنة نبّينا عليه السلام، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن حنبل ـ نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته ـ قائلون).

هذه عقيدة الإمام أبي الحسن الأشعري التي استقر أمره عليها بعد أن أقام على مذهب الاعتزال إلى ما بعد الأربعين من عمره، حيث أيقظ عز وجل بصيرته، وهو في بداية نضجه وذلك سنة ٣٠٤ هـ، فأعلن رجوعه عن تعطيل المعتزلة، وأظهر فضائحهم وقبائحهم، ولذلك شنعوا عليه ونسبوا إليه الاباطيل.

وممن قال برجوعه عن مذهب الاعتزال: ابن خلكان في «وفيات الأعيان» والحافظ الذهبي في «العلو للعلي الغفار» وابن كثير في «البداية والنهاية» والسبكي في «طبقات الشافعية» وابن فرحون المالكي في «الديباج المذهب» والمرتضى في «شرح الإحياء».

وقد مرَّ الإمام الأشعري بثلاثة أحوال: الحال الأول الاعتزال، وقد تاب منه ورجع عنه، والحال الثاني: اثبات الصفات العقلية السبعة، وهي: الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام، وتأويل الصفات الخبرية، كالوجه، واليدين، والقدم، والساق، والحال الثالث: إثبات ذلك كله من غير تكييف ولا تشبيه جرياً على منوال السلف الصالح رضي الله عنهم، وهي طريقته في «الإبانة» الذي ألفه أخيراً.

وممن عزى «الإبانة» إليه: الإمام البيهقي، والحافظ الذهبي، وابن فرحون المالكي، وشيخ الاسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن قيم الجوزية، وابن كثير، وابن العماد الحنبلي.

وهو آخر كتاب صنفه، وعليه يعتمد أصحابه في الذب عنه عند من يطعن عليه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ولما رجع الأشعري عن مذهب المعتزلة، سلك طريق أهل السنة والحديث، وانتسب الى الامام أحمد بن حنبل كما ذكر ذلك في كتبه كـ «الإبانة» وغيرها.

وقال ابن القيم: وأبو الحسن الأشعري وأئمة أصحابه متفقون على إثبات الصفات الخبرية التي ذكرت في القرآن كالاستواء، والوجه، واليدين، وعلى إبطال تأويلها.

وهي عقيدة السلف الصالح التي تلقوها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن أصحابه وعن التابعين لهم باحسان، وهي العقيدةالسليمة والطريقة المستقيمة، التي ينبغي على كل مسلم أن يسلك سبيلها، وأن يسير على منهاجها، وهي أسلم وأحكم، بلا شك ولا ريب.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: اتبعوا ولا تبتدعوا. وقال عمر ابن عبد العزيز رحمه الله: قِفْ حيث القوم فإنهم عن علم وَقفوا، وببصر نافذ كفوا. وقال الإمام الأوزاعي رحمه الله: عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول. وقال الإمام الشافعي رحمه الله: آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله تعالى، وآمنت برسول الله، وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: الزم طرق الهدى ولا يضرك قلة السالكين، وإياك وطرق الضلالة، ولا تغتر بكثرة الهالكين، والله تبارك وتعالى تكفل بحفظ شريعته في كتابه المبين، فقال عزمن قائل: ﴿إِنَّانَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال في حديثه المروي من طرق «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين».

طبعات الكتاب: طبع الكتاب أربع طبعات قبل هذه الطبعة:

الأولى في الهند في حيدر أباد الدكن في شهر ذي الحجة سنة ١٣٢١ هـ.

الثانية في مصر المطبعة المنيرية.

والثالثة بمطبعة الجمل المصرية سنة ١٣٤٩ هـ .

الرابعة في مصر ١٣٩٧ بتحقيق الدكتورة فوقية محمود التي قالت إنها اعتمدت في ذلك على أربع نسخ خطية ، وقدمت للكتاب بمقدمة وأرفقته بحواشي تبلغ أكثر من ثلاثة أضعاف نص « الإبانة »

والطبعات الثلاثة مليئة بالأخطاء والتصحيف الذي لم تنج منه الآيات والأحاديث وخاصة الطبعة الثالثة المحققة!! كما أنه لم تخل هذه الطبعات من سقط وإن كان قليلاً

العمل في الكتاب :

لقد تعذر الحصول على مخطوط للكتاب لذا تم تصحيحه على الطبعات الآنفة الذكر. فقد قمت مع الاستاذ حسن السماحي ـ جزاه الله خيراً ـ بمقابلة الطبعات بعضها مع بعض للوصول الى نص أقرب الى الصواب.

ثم دفعت الكتاب الى الاستاذ عبد القادر الارناؤوط ـ الذي عرف بتخصصه في علوم السنة النبوية الشريفة ـ فقام بتخريج أحاديثه تخريجاً سريعاً ـ فجزاه الله كل خير .

وبذلك خرج هذا الكتاب أقرب الى الكمال عن طبعاته السابقة . وعسى الله ان ييسر في مستقبل الأيام ـ إن شاء الله ـ تقديمه في صورة أكمل وأفضل إنه على كل شيء قدير ونسأل الله عز وجل أن يثبتنا على الاعتقاد الصحيح ، والسبيل السليم ، إنه على كل شيء قدير وبالاجابة جدير . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

دمشق في ١ ذي الحجة / ١٤٠٠ هـ .

بشير عيون

ترجمة المؤلف
أبي الحسن علي بن اسماعيل الأشعري

بقلم
أبي الحسن الندوي

ابو الحسن الأشعري:

هو أبو الحسن علي بن اسماعيل، من ذرية أبي موسى الاشعري صاحب رسول الله ﷺ. ولد بالبصرة عام ٢٧٠ هـ تزوجت أمه ـ بعد وفاة أبيه اسماعيل ـ بأبي علي الجبائي، شيخ المعتزلة في عصره، وحامل راية الاعتزال، ونشأ ابو الحسن في حجره، وتلقى علومه حتى صار نائبه وموضع ثقته، وأمين سره.

وكان ابو علي الجبائي صاحب تصنيف وقلم، اذا صنف يأتي بكل ما أراد مستقصى، واذا حضر المجالس وناظر لم يكن بمرضٍ، وكان اذا دهمه الحضور في المجالس يبعث الاشعري، ويقول له: نب عني! ولم يزل على ذلك زماناً[1] حتى تصدر المعتزلة، وأصبح يشار اليه بالبنان، وكان كل شيء في حياته يدل على أنه سيكون خليفة شيخه ومربيه ـ أبي علي الجبائي ـ ويعقد له لواء الامامة والصدارة في المذهب؛ ولكن الله أراد غير ذلك.

لم يزل ابو الحسن يتزعم المعتزلة ويدافع عنهم، وظل على ذلك اربعين سنة، حتى ثار عقله الكبير، ونفسه القلقة، على مذهب الاعتزال الذي كان ينافح عنه، ونشأ في نفسه رد فعل ضد تأويلات المعتزلة، وإمعانهم في القياس

---

(١) تبيين كذب المفتري فيما نسب الى الامام ابي الحسن الاشعري لابي القاسم ابن عساكر الدمشقي ص ٩١

وتحكيم العقل، وصار يشعر بأنهم أخضعوا الدين للمنطق الصناعي وللمقدمات، والاصول التي ظنوا- وصور لهم ذكاؤ هم- أنها قطيعة، وتأولوا القرآن على آرائهم، واقتنع بأن الحق الصريح هو الذي كان عليه الصحابة رضي الله عنهم، وسلف هذه الامة، وهي الغاية التي ينتهي اليها العقل والتفكير العميق، بعد رحلة طويلة، وتجارب قاسية، وعثرات كثيرة، فيؤمن بفضلهم وإصابتهم في ما اعتقدوه وتلقوه عن النبي ﷺ، وعضوا عليه بالنواجذ.

حدث في أبي الحسن الاشعري هذا الصراع النفسي، فاعتكف في بيته خمسة عشر يوماً يفكر ويتأمل ويدرس ويستخير الله حتى اطمأنت نفسه، واستقر رأيه، ورأى أنه لا يسعه الا الاعلان بالبراءة عن الاعتزال، والرجوع الى مذهب السلف، ورأى أن البقاء في ما كان عليه من الرأي والمركز الذي يتمتع به جريمة خلقية ونفاق، فخرج الى المسجد الجامع بالبصرة، ورقي كرسياً، ونادى بأعلى صوته: من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فانا أعرفه بنفسي، انا فلان بن فلان، كنت أقول بخلق القرآن، وأن الله لا تراه الابصار، وأن افعال الشر انا افعلها، وانا تائب مقلع معتقد للرد على المعتزلة، فخرج لفضائحهم ومعائبهم[1].

ومن ذلك اليوم انقلب ابو الحسن- لسان المعتزلة من قبل- اكبر المعارضين للاعتزال، وأعظمهم رداً عليه وعلى أهله، وانقلبت مواهبه العظيمة، ومرانه العقلي وحجاجه القوي، الى الدفاع عن السنة ومذهب السلف.

حماسه في عقيدة السلف وحرصه على تبليغها:

ونهض أبو الحسن الاشعري، بعد هذا التحول العظيم، يدعو الى عقيدة اهل السنة، ويدافع عنها في حماسة وايمان، ويرد على المعتزلة،

---

(١) ابن خلكان ص ١١٤ ج١

ويتبعهم في مجالسهم ومراكزهم يحاول اقناعهم بما اقتنع به اخيراً من عقائد أهل السنة، ومذاهب السلف، وكان نشاطه في ذلك أعظم من نشاطه في السابق، وكان يقصدهم بنفسه يناظرهم، فكلم في ذلك، وقيل له: كيف تخالط أهل البدع وتقصدهم بنفسك وقد أمرت بهجرهم؟ فقال: هم أولو رياسة، منهم الوالي والقاضي، ولرياستهم لا ينزلون الّي، فاذا كانوا هم لا ينزلون الّي، ولا أسير أنا اليهم، فكيف يظهر الحق، ويعلمون أن لأهل السنة ناصراً بالحجة؟[1].

مواهبه العقلية وعلو مرتبته في العلم:

وقد اكتسب أبو الحسن ملكة قوية ومراناً على البحث والاستدلال، بحكم اشتغاله بالبحث في علم الكلام، والدفاع عن المعتزلة، وكان صاحب موهبة وقريحة في المناظرة والاستدلال، شديد المعارضة، قوي الحجة.

وقد أشعل اخلاصه للدين وانتقاله الى معسكر أهل السنة هذه المواهب. وقد كان مستواه العقلي أعلى من مستوى معاصريه واقرانه، وكان صاحب نبوغ وابتكار في العقليات، وكان يرد على حجج المعتزلة وعقائدهم في سهولة، وينقضها بمقدرة وثقة، كما يرد الاستاذ الكبير على شبه تلاميذه، ويحل مشاكلهم، يصور ذلك قصة يرويها تلميذه ابو عبد الله بن خفيف الشيرازي يقول:

«دخلت البصرة، وكنت أطلب أبا الحسن الأشعري رحمه الله، فأرشدت اليه، واذا هو في بعض مجالس النظر، فدخلت، فاذا ثم جماعة من المعتزلة، فكانوا يتكلمون، فاذا سكتوا وأنهوا كلامهم، قال لهم أبو الحسن الأشعري لواحد واحد، قلت كذا وكذا، والجواب عنه كذا وكذا، الى ان يجيب الكل، فلما قام خرجت في اثره، فجعلت أقلب طرفي فيه، فقال ايش

---

(١) تبيين كذب المفترى ص ١١٦.

تنظر؟ فقلت كم لساناً لك؟ وكم أذناً لك؟ وكم عيناً لك؟ فضحك وقال لي: من أين أنت؟ قلت: من شيراز، وكنت أصحبه بعد ذلك[1].

وزاد في رواية، قال: قلت مثلك في فضلك وعلو منزلتك، كيف لم تسأل ويسأل غيرك؟! فقال: إنا لا نكلم هؤلاء ابتداءً؛ ولكن اذا خاضوا في ذكر ما لا يجوز في دين الله، رددنا عليهم بحكم ما فرض الله سبحانه وتعالى علينا من الرد على مخالفي الحق»[2].

وقد كان أبو الحسن الاشعري اماماً مجتهداً في علم الكلام، وأحد مؤسسيه وقد خضع كل من جاء بعده من المتكلمين لعبقريته، وعمق كلامه، ودقة نظره وإصابة فكره.

روي عن الامام أبي الحسن الباهلي- وهو امام من أئمة الكلام- أنه قال: كنت أنا في جنب الشيخ الأشعري كقطرة في جنب البحر[3].

وقال الإمام أبو بكر الباقلاني- وهو الذي لقب بلسان الأمة- وقد قيل له: كلامك أفضل وأبين من كلام أبي الحسن الأشعري رحمه الله، قال: ان افضل أحوالي أن أفهم كلام ابي الحسن رحمه الله.

مذهبه وخدمته:

ليس سر عظمة الأشعري في التاريخ، وجلالة العمل الذي قام به، في أنه دافع عن السنة دفاعاً قوياً، ورد على المعتزلة؛ فالذين تولوا ذلك كثير؛ إن سر عظمته وعبقريته في أنه اتخذ طريقاً وسطاً بين المعتزلة والمحدثين؛ فلم يذهب كما ذهب المعتزلة الى تمجيد العقل، والايمان بأن له سلطة لا تحد، وأن له الحكم على ما يتصل بالذات والصفات وما وراء الطبيعة، وأن له الكلمة الاخيرة النافذة في كل موضوع، ولم ير كذلك - كما رأى كثير من أهل عصره -

---

(١) نفس المرجع ص ٩٤-٩٥.

(٢) تبيين كذب المفترى ص ١٦.

(٣) أيضا ص ١٢٥.

ان الانتصار للدين والدفاع عن العقيدة الاسلامية يستلزمان إنكار العقل وقوته - الى حد ما - وازدراءه، وأن السكوت عن هذه المباحث التي يثيرها المعتزلة وأضرابهم، والتي نشأت بحكم تطور العصر، والاحتكاك بالامم والديانات أولى وأفضل، بالعكس من ذلك، هو عُني بهذه المباحث؛ لانها كانت تزلزل العقيدة الاسلامية، وتضعف الثقة بالدين، وباحث المعتزلة والمتفلسفين، وناقشهم في مصطلحاتهم ولغتهم العلمية، وعمل بالكلمة المأثورة عن علي رضي الله عنه : « حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله ؟ » . وكأنه كان يعتقد ان العالم اذا كلم عامياً كلاماً فوق مستواه العلمي والعقلي ، كان ذلك باعثاً على الانكار وتكذيب الله ورسوله ، كذلك اذا كلم عالماً أو ذكياً أو متشككاً دون مستواه العلمي والعقلي ، كان ذلك مثيراً للشكوك ، وداعياً الى الجحود والإنكار ؛ فكان فهمه لهذه الوصية الحكيمة فهماً أوسع ، وتطبيقه لها تطبيقاً أشمل ، وبذلك خدم أبو الحسن هذا الدين في عصره خدمة باهرة ، وأعاد الى نفوس وعقول كثيرة لا يعلم عددها الا الله ، الثقة بهذا الدين ، والايمان به من جديد .

لقد كان أبو الحسن الاشعري جريئاً وصريحاً في نقده للمعتزلة، وقد بين انهم اتبعوا أهواءَهم في فهم هذا الدّين، وقلدوا رؤساءَهم وسلفهم تقليداً أعمى، ولم ينظروا في الكتاب والسنة مجرداً، ولم يتخذوهما إماماً ومصدراً لعقائدهم وآرائهم؛ بل كلما تعارض القرآن مع ما انتحلوه من آراء وعقائد تأولوا القرآن، ولم يروا بذلك بأساً. يقول في كتاب «الابانة عن أصول الديانة» وهو أول ما صنفه بعد الخروج من الاعتزال: «أما بعد؛ فان من الزائغين عن الحق من المعتزلة، وأهل القدر، مالت بهم أهواؤهم الى تقليد رؤسائهم، ومن مضى من أسلافهم؛ فتأولوا القرآن على آرائهم تأويلاً لم ينزل الله به سلطاناً، ولا أوضح به برهاناً، ولا نقلوه عن رسول الله رب العالمين، ولا عن السلف المتقدمين»

ويشرح عقيدته التي يدين بها فيقول:

«وقولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها، التمسكُ بكتاب ربنا عز وجل، وبسنة نبينا عليه السلام، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ـ نضر الله وجهه، ورفع درجته، وأجزل مثوبته ـ قائلون، ولما خالف قوله مخالفون؛ لانه الامام الفاضل، والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق، ورفع به الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزيغ الزائغين، وشك الشاكين؛ فرحمة الله عليه من امام مقدَّم، وخليل معظم مفخم[1].

ولم تقتصر خدمة الأشعري على تأييد عقائد أهل السنة والسلف تأييداً اجمالياً، فقد كان الحنابلة والمحدثون قائمين به غير مقصرين فيه.

إن عبقريته تتجلى في أنه أقام البراهين والدلائل العقلية والكلامية على هذه العقائد، وناقش المعتزلة والمتفلسفة عقيدةً عقيدةً، وذلك كله في لغة يفهمونها، واسلوب يألفونه ويجلونه، وبذلك أثبت أن هذا الدين وعقيدته الواضحة مؤيّدان بالعقل، وان العقل الصحيح يؤيد الدين الصريح، ولا صراع بينهما ولا تناقض.

وقد استهدف في عمله هذا لنقد المعتزلة وسخطهم، وكان ذلك طبيعياً ومعقولاً؛ اذ هو منافسهم الاكبر وزعيم المعارضة؛ ولكنه استهدف كذلك لعتاب الحنابلة المتشددين الذين كانوا يرون الخوض في هذه المباحث والمناقشات، واستعمال المصطلحات الفلسفية، والاستدلال بالمقدمات العقلية في المسائل النقلية، ضرباً من الزيغ والضلال.

لقد كان الاشعري مؤمناً بان مصدر العقيدة، والمسائل التي تتصل بالالهيات وما وراء الطبيعة، هو الكتاب والسنة، وما جاء به الأنبياء ليس العقل المجرد والمقياس والميتافزيقا اليونانية؛ ولكنه لم يكن يرى السكوت

---

(١) كتاب الابانة عن اصول الديانة ص ١٧ـ ١٨ من طبعتنا هذه.

والاعراض عن المباحث التي حدثت بتطورات الزمان، واختلاط هذه الامة بالأمم والديانات والفلسفات الاجنبية؛ حتى تكونت على اساسها فرق ونحل. وكان يرى أن السكوت عن هذه المباحث يضرّ بالاسلام، ويفقد مهابة السنة، ويحمل ذلك على ضعف السنة العلمي والعقلي، وعجز رجال الدين وممثليها عن مواجهة هذه التيارات ومقاومة هذه الهجمات، ويهتبله أهل الفرق الضالة، فينفذون في أهل السنّة والعقيدة الصحيحة، فينفثون سمومهم فيهم، ويزرعون الشكوك، ويستميلون شبابهم الذكي المثقف الى انفسهم.

وكان الاشعري مؤمناً بأن مصدر العقيدة هو الوحي والنبوة المحمدية، والطريق الى معرفته هو الكتاب والسنة وما ثبت عن الصحابة رضي الله عنهم، وهذا مفترق الطرق بينه وبين المعتزلة؛ فإنه يتجه في ذلك اتجاها معارضاً لاتجاه المعتزلة ولكنه رغم ذلك يعتقد مخلصاً أن الدفاع عن هذه العقيدة السليمة، وغرسها في قلوب الجيل الاسلامي الجديد، يحتاج الى الحديث بلغة العصر العلمية السائدة، واستعمال المصطلحات العلمية، ومناقشة المعارضين على اسلوبهم العقلي، ولم يكن يسوغ ذلك؛ بل يعده أفضل الجهاد وأعظم القربات في ذلك العصر، وهذا مفترق الطرق بينه وبين كثير من الحنابلة والمحدثين الذين كانوا يتأثمون ويتحرجون من النزول الى هذا المستوى.

وكان يعتقد كذلك، أن المباحث التي تتصل بالعقليات والحسيات لا صلة لها في الحقيقة بالعقيدة والديانات؛ ولكن المعتزلة والفلاسفة مزجوا البحث في العقيدة بالبحث فيها؛ بل جعلوها بذلاقة لسانهم وذكائهم مقدمات للبحث في الدين، بل فارقاً بين الحق والباطل. كان الأشعري يعتقد أن الفرار من البحث فيها، بحجة أنها لا تتصل بالدين والعقيدة، لا يصح؛ بل بالعكس من ذلك، يجب على من قام لنصرة السنة أن يواجههم فيها، ويثبت مذهب أهل الحق. وكان يعتقد أن النبي ﷺ وأصحابه لم يسكتوا عن هذه المسائل جهلاً؛ بل لأن هذه المباحث ما نشأت في عصرهم،

ولم تمس الحاجة الى البحث فيها، شأن الفقه والجزئيات الكثيرة التي حدثت بعد عصرهم، فتأمل فيها الفقهاء والمجتهدون، وأبدوا رأيهم فيها، واستنبطوا وفرعوا وحلوا المشاكل الجديدة، وبذلك عصموا الأمة والجيل الجديد عن الالحاد والفوضى في العمل والتعطل، كذلك يجب على حراس الشريعة، ومتكلمي أهل السنة، أن يواجهوا الاسئلة الجديدة التي أثارها المعتزلة والمتفلسفة في موضوع الإلهيات، ويجيبوا عن الاعتراضات والمطاعن التي يوجهها الى أهلُ السنة أهـلَ الفرق الضالة، ويقيموا الدليل والبرهان العقلي على صحة عقائد أهل السنة ومطابقتها للعقل والمنطق، وقد ألف في هذا الموضوع رسالة اسماها «استحسان الخوض في الكلام».

وقد سار الاشعري في طريقه مجاهداً، مناضلاً، منتجاً، معرضاً عن سخط الطائفتين: الحنابلة والمعتزلة، لا يعبأ بما يقال فيه، مؤمناً بأنه هو الطريق الذي ينفع الدين في عصره، ويرد الى الشريعة الاسلامية مهابتها وكرامتها، ويحرس للناشئة دينها وعقيدتها؛ حتى استطاع بعمله المتواصل، وشخصيته القوية، وعقله الكبير، واخلاصه النادر، أن يرد سيل الاعتزال والتفلسف الجارف الذي كان يتهدد الدين ويثبّت كثيراً من الذين تزلزلت أقدامهم، واضطربت عقولهم وعقيدتهم، وأن يوجد في أهل السنة ثقة جديدة بعقيدتهم، ونشاطاً جديداً في دعوتهم، وزالت سطوة المعتزلة على العقول والافكار، واشتغلوا بالدفاع عن الهجوم، وتعرضت حركة الاعتزال ودعوتها للخطر، وقد خمدوا وانطفأوا بمعارضة امام كبير، كأبي الحسن الأشعري. يقول أبو بكر بن الصيرفي:

«كانت المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم؛ حتى أظهر الله تعالى الاشعري، فحجزهم في اقماع السمسم[1]، وبموقفه الجليل في الدفاع عن السنة ونصر الدين استحق أن يعد من المجديـن الكبار[2].

---

(١) تبيين كذب المفتري ص ٩٤

(٢) كذلك ص ٥٣

مؤلفاته:

ولم يقتصر ابو الحسن الاشعري على المناظرة والمعارضة؛ بل خلف مكتبة كبيرة من مؤلفاته في الدفاع عن السنة، وشرح العقيدة الحسنة، وقد ألف تفسيراً للقرآن، أقل ما قيل في أجزائه أنه في ثلاثين مجلداً[1]. وقد ذكر بعض المؤلفين أن مؤلفاته تبلغ الى ثلاثمائة مؤلف[2]، اكثرها في الرد على المعتزلة، وبعضها في الرد على مذاهب وفرق أخرى، منها «كتاب الفصول» الذي رد فيه على الفلاسفة والطبيعيين، والدهرية، والبراهمة، واليهود، والنصارى، والمجوس، وهو كتاب كبير يحتوي على اثني عشر كتاباً. وقد ذكر ابن خلكان من مؤلفاته كتاب «اللمع» «الموجز» «ايضاح البرهان» «التبيين عن اصول الدين» و «الشرح والتفصيل في الرد على أهل الإفك والتضليل».

وله- عدا العلوم العقلية والكلام- مؤلفات في علوم الشريعة منها: «كتاب القياس» و «كتاب الاجتهاد» و «خبر الواحد» وكتاب في الرد على ابن الراوندي في انكاره للتواتر.

وقد ذكر في كتابه «العمد» مؤلفاته التي فرغ منها سنة ٣٢٠هـ، يعني قبل وفاته بأربع سنوات، وهي ثمانٍ وستون مؤلفاً، وكثير منها يقع في عشرة مجلدات أو أكثر، وقد ألف في آخر حياته كتباً كثيرة، ويدل كتابه «مقالات الاسلاميين» على أنه لم يكن متكلمًا فحسب؛ بل كان مؤرخاً أميناً لعلم العقائد، وقد اعترف بدقته وأمانته وتحريه للصدق في النقل المستشرقون[3] وكتب الفرق والديانات تدل على أمانته ودقته في النقل.

اجتهاده في العبادة

لم يكن أبو الحسن الأشعري رجلَ علم وعقل، وبحث ونظر فحسب؛

---

(١) الذهبي.

(٢) تبيين كذب المفتري ص ١٣٦

(٣) انظر Muslimcreed لفنسنك Vinsink

بل كان- مع وصوله الى درجة الامامة والاجتهاد في العلم والعقل- مجتهداً في العبادات، متحلياً بالاخلاق الفاضلة، وذلك ما يمتاز به العلماء الأقدمون؛ فان اشتغالهم بالعلم لم يكن مانعاً عن الاجتهاد في العبادات، والحرص على الطاعات. وكانوا يجمعون بين الدراسة والافادة، والعبادة والزّهادة. قال احمد بن علي الفقيه: «خدمت الإمام أبا الحسن بالبصرة سنين، وعاشرته ببغداد الى أن توفي رحمه الله؛ فلم أجد أورع منه، ولا أغض طَرْفاً، ولم أر شيخاً أكثر حياءً منه في أمور الدنيا، ولا أنشط منه في أمور الآخرة»[1]. ويحكي أبو الحسين الشروي عن عبادته في الليل واشتغاله، ما يدل على حرصه وقوته في العبادة[2].

قال ابن خلكان: «وكان يأكل من غلة ضيعة وقفها جده، بلال بن أبي بردة بن أبي موسى على عقبه، وكانت نفقته في كل يوم سبعة عشر درهما، هكذا قاله الخطيب.»[3].

وفاته

وكانت وفاته سنة ٣٢٤ هـ، ودفن ببغداد في مشرعة الروايا[4]، ونودي على جنازته: «اليوم مات ناصر السنة».

* * *

(١) تبيين كذب المفتري ص ١٤١.
(٢) أيضاً ص ١٤١.
(٣) و (٤) ابن خلكان ج١ ص ٤١٢

مقدمة المؤلف

قال السيّد الإمام أبو الحسن عليٌّ بن اسماعيل الأشعري البصري رحمه الله :

الحمد لله الواحد ، العزيز الماجد ، المتفرد بالتوحيد ، المتَمَجِّد بالتمجيد ، الذي لا تَبْلُغُه صفاتُ العبيد ، وليس له منازع ولا نَديد ، وهو المبدي المعيد ، الفَعَّالُ لما يريد ، جلَّ عن اتخاذ الصواحب والأولاد، وتقدس عن ملابسة الأجناس والأرجاس ، ليست له صورة تقال ،ولا حَدٌّ يُضْرَب له المثال ، لم يَزَل بصفاته أولاً قديراً ، ولا يزال عالماً خبيراً ، استوفى الأشياءَ عِلْمُهُ ، ونفذت فيها إرادتهُ ، ولم تعزُب عنه خفيَّات الأمور ، ولم تغيِّره سوالفُ صروف الدهور ، وَلَمْ يَلْحَقْه في خَلقِ شيءٍ مما خلق كَلال ولا تعبٌ ، وَلا مَسَّهُ لُغوبٌ ولا نَصَبٌ، خَلَقَ الأشياءَ بقدرته ، ودبَّرها بمشيئته ، وقهرها بجبروته ، وذلّلها بعزته ، فَذَلَّ لعظمته المتكبِّرون ، واستكان لعز ربوبيته

المتعظِّمون ، وانقطع دون الرسوخ في علمه العالمون ، وذلت له الرقاب ، وحارت في ملكوته فِطَنُ ذوي الألباب ، وقامت بكلمته السموات السبع ، واستقرت الأرض المهاد ، وثبتت الجبال الرواسي ، وجرت الرياحُ اللواقحُ ، وسار في جو السماء السحابُ ، وقامت على حدودها البحار ، وهو اللّهُ الواحدُ القَهَّار يخضعُ له المتعزِّزون، ويخشع له المُتَرفعون، ويدين طوعاً وكرهاً له العالمون .

نحمَدُه كما حمِدَ نفسه ، وكما هو أهله ومستحقه ، وكما حَمِدُه الحامدون من جميع خلقه ، ونستعينه استعانة من فَوَّض أمرَه إليه ، وأقَرَّ أنَّه لا منجا ولا ملْجَأ منه إلا إليه ، ونستغفره استغفار مُقِرٍّ بذنبه،معترف بخطيئته .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً بوحدانيته وإخلاصاً لربوبيته ، وأنه العالِمُ بما تُبْطِنُه الضمائر ، وتَنْطَوي عليه السرائر ، وما تخفيه النفوس ، وما تجن البحار ، وما تواري الأسراب ، ﴿وما تَغيضُ الأرْحَامُ وَما تَزْدَادُ ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَار﴾ [الرعد : ٨] ، لا تُوارىٰ عنه كلمةٌ ولا تَغيب عنه غائبة ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ في ظُلُمَاتِ

الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إلافي كِتابٍ مُبِينٍ﴾[الأنعام : ٥٩] ويعلم ما يعمل العاملون ، وما يَنْقَلِب إليه المنقلبون .

ونستهديه بالهدى ، ونَسأَلَهُ التوفيق لمجانبة الردى .

ونشهد أن محمداً صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله ، وَنَبيه ، وأمينه ، وصفيه ، أرسله إلى خلقه بالنور الساطع ، والسراج اللامع ، والحُجَج الظاهرة ، والبراهين والآيات الباهرة ، والأعاجيب القاهرة ، فَبلَّغ عن الله رسالاته . ونصح له في بريَّاته ، وجاهد في الله حق جهاده. وقاتل أهل العناد ، حتى تمت كلمة الله عَزّ وجل،وظَهَرَ أَمْرُهُ وانقادَ الناسُ للحقِ خاضعين حتى أتاه اليقين ، لا وانياً ولا مقصراً ، فصلوات الله عليه من قائدٍ إلى هُدى مُبين وعلى آل بيته الطيبين ، وعلى أصحابه المنتخَبين ، وعلى أزواجه أمهاتِ المؤمنين .

عرَّفنا الله به الشرائعَ والأحكام ، والحلال والحرام . وبين لنا به شريعةَ الإسلام ، حتى انجلت به عنا طَخْياء الظلم ، وانحسرت به عنا الشبهات، وانكشفت به عنا الغيابات ، وظهرت لنا به البينات .

جاءنا بكتابٍ عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من

خلفه ، تنـزيل من حكيم حميد ، جمع فيه عِلْمَ الأولين والآخرين ، وأكمل به الفرائض والدين ، فهو صراط الله المستقيم وحبلُه المتين ، من تَمسَّك به نجا ، ومن خالفه ضَلَّ وغوى ، وفي الجهل تَرَدَّى ، وحَثَّ الله في كتابه على التمسك بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فقال عز وجل : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ومَا نَهَاكُم عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر : ٧] . وقال عز وجل: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور : ٦٣] . وقال : ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَىٰ الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الأمرِ مِنْهُم لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُم ﴾ [النساء : ٨٣] . وقال : ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُم فِيهِ مِنْ شَيءٍ فَحُكْمُهُ إِلَىٰ اللّهِ ﴾ [الشورى : ١٠] ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُم في شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَىٰ اللّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ [النساء : ٥٩] أي كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم . وقال :﴿وَمَا يَنْطِقُ عنْ الْهَوَى * إن هُوَ إلاّ وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم : ٣ ـ ٤] ، وقال ﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾[يونس: ١٥].

وقال : ﴿ انَّمَا كَانَ قَوْلَ المُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَىٰ الله وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُم أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ [النور : ٥١] .

فأمرهم أن يسمعوا قوله ، ويطيعوا أمره ، ويحذروا مخالفته . وقال : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ [النساء : ٥٩] ، فأمرهم بطاعةِ رَسولهِ صلى الله عليه وسلم ، كما أمرهم بطاعته ، ودعاهم الى التمسك بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، كما أمرهم بالعمل بكتابه . فَنَبَذَ كثيرٌ ممن غلبت عليهم شقوتهم واستحوذ عليهم الشيطان سُنَنَ نبي الله صلى الله عليه وسلم وراء ظهورهم ، ومالوا إلى أسلافٍ لهم قلدوهم بدينهم ، ودانوا بديانتهم ، وأبطلوا سُنَنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفضوها ، وأنكروها وجحدوها ،افتراءً منهم على الله ، ﴿ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ [الأنعام : ١٤٠] .

أوصيكم عِباد الله بتقوى الله عز وجل ، وأُحذِّركم الدنيا فإنها حُلْوة خَضِرَةٌ، تغرُّ أهلَها ، وَتَخْدَعُ سكَّانَها ، قال الله تعالى : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأرضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمَاً تَذْرُوْهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ الله عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرَاً ﴾ [الكهف : ٤٥] . من كان فيها في حَيْرَةٍ أعقبته بعدها عَبْرة ، ومن أعطته من سرَّائها بطناً أعقبته من ضرَّائها ظهراً ، غرَّارةٌ، غرور ما فيها ، فانية، فانٍ ما عليها ، كما

حكم عليها ربُّها بقوله تعالى : ﴿ كُلُّ مَن عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ [الرحمن : ٢٦].

فاعملوا رحمكم الله للحياة الدائمة ، والخلود الأبد ، فإن الدنيا تنقضي عن أهلها ، وتبقى الأعمالُ قَلائِدَ في رقابِ أهلها .

واعلموا أنكم ميِّتون ، ثم إنكم من بعد موتكم إلى ربكم راجعون ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أساؤوا بِما عَمِلُوا ، وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنوا بِالْحُسْنَى ﴾ [النجم : ٣١] فكونوا بطاعة ربكم عاملين ، وعما نهاكم عنه منتهين .

* * *

الباب الأول
في إبانة قول أهل الزيغ والبدعة

أما بعد ، فان كثيراً من الزائغين عن الحق من المعتزلة وأهل القدر مالت بهم أهواؤهم إلى تقليد رؤسائهم ومن مضى من أسلافهم ، فتأولوا القرآن على آرائهم تأويلاً لم يُنْزِل الله به سلطاناً ، ولا أوضح به برهاناً،ولا نقلوه عن رسولِ ربِ العالمين ، ولا عن السلف المتقدمين .

فخالفوا روايات الصحابة رضوان الله عليهم عن نبي الله صلوات الله عليه وسلامه في رؤية الله عز وجل بالأبصار ، وقد جاءت في ذلك الروايات من الجهات المختلفات ، وتواترت بها الآثار ، وتتابعت بها الاخبار

وأنكروا شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم للمذنبين ، وردوا الروايات في ذلك عن السلف المتقدمين .

وجحدوا عذاب القبر ، وان الكفار في قبورهم يعذَّبون، وقد أجمع على ذلك الصحابة والتابعون .

ودانوا بخلق القرآن نظيراً لقول اخوانهم من المشركين الذين قالوا : ﴿إِنْ هَذَا الاَّ قَوْلُ البَشَرِ﴾ [المدثر : ٢٥] ، فزعموا أن القرآن كقول البشر .

وأثبتوا أن العباد يخلقون الشر ، نظيراً لقول المجوس الذين أثبتوا خالِقَيْنِ :أحدهما يخلق الخير والآخر يخلق الشر ،

وزعمت القدرية أن الله عز وجل يَخْلُقُ الخير وأن الشيطان يخلق الشر .

وزعموا أن الله عزّ وجل يشاء ما لا يكون ، ويكون ما لا يشاء ، خلافاً لما أجمع عليه المسلمون من أن ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، ورداً لقول الله عز وجل : ﴿ وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاّ أَنْ يَشَاءَ الله ﴾ [الانسان : ٣٠] . فأخبر أنا لا نشاء شيئاً إلا وقد شاء الله أن نشاءَه ، ولقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ الله ما اقْتَتَلُوا ﴾ [البقرة : ٢٥٣] ولقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾ [السجدة : ١٣] ، ولقوله تعالى ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴾ [البروج : ١٦] ولقوله تعالى مخبراً عن نبيه شعيب أنه قال : ﴿ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَّعُودَ فِيها إلا يَشَاءَ اللهُ رَبُّنا وَسعَ رَبُّنا

كُلَّ شَيْءٍ عِلْمَاً ﴾ [الأعراف : ٨٩] ولهذا سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم«مجوس هذه الأمة[1]»، لأنهم دانوا بديانة المجوس وضاهوا أقاويلهم .

وزعموا أن للخير والشر خَالِقَيْنِ ، كما زعمت المجوس ذلك ، وأنه يكون من الشرور ما لا يشاؤه الله كما قالت المجوس .

وزعموا أنهم يملكون الضر والنفع لأنفسهم دون الله ، رداً لقول الله عزَّ وجلّ لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ قُلْ لاَّ أَمْلِكُ لِنَفسِي نَفْعَاً وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ الله ﴾ [الأعراف : ١٨٨] وإعراضاً عن القرآن ، وعما أجمع عليه أهل الاسلام .

وزعموا أنهم ينفردون بالقدرة على أعمالهم دون ربهم ، فأثبتوا لأنفسهم الغنى عن الله عز وجل، ووصفوا أنفسهم بالقدرة

---

(١) رواه أبو داود رقم (٤٦٩١) في السنة : باب في القدر، والحاكم فى «المستدرك» ١/٨٥ من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعاً بلفظ «القدرية مجوس هذه الأمة» وأحمد فى «المسند» ٢/٨٦ من حديث ابن عمرو أيضاً بلفظ «لكل أمة مجوس ومجوس أمتى الذين يقولون لا قدر» والآجرى في «الشريعة» (١٩٠) ورواه أيضاً أحمد فى «المسند» ٥/٤٠٦، ٤٠٧ ، وأبو داود رقم (٤٦٩٢) من حديث حذيفة بن اليمان رضى الله عنه، وابن ماجة رقم (٩٢) في المقدمة، من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما، وله شاهد بالمعنى عند الحاكم ١/٨٥ من حديث أبى هريرة عن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما بلفظ «لا تجالسوا أهل القدر ولا تفاتحوهم» وهو حديث حسن بطرقه وشواهده .

على ما لم يَصِفُوا اللهَ عزَّ وجلّ بالقدرة عليه ، كما أثبتت المجوس للشيطان من القدرة على الشر ما لم يثبتوه لله عز وجل ، فكانوا مجوس هذه الأمة إذ دانوا بديانة المجوس ، وتمسكوا بأقاويلهم، ومالوا إلى أضاليلهم ، وقَنَّطوا الناس من رحمة الله ، وآيسوهم من روحه ، وحكموا على العصاة بالنار والخلود فيها ، خلافاً لقول الله تعالى : ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء : ٤٨] .

وزعموا أن من دخل النار لا يخرج منها خلافاً لما جاءت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله عز وجل يُخْرِجُ قَوماً من النار بعد أن امتحشوا فيها وصاروا حمماً[٢] .

ودفعوا أن يكون لله وجه مع قوله عز وجل : ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلَالِ وَالإِكْرامِ ﴾ [الرحمن : ٢٧].

وأنكروا أن يكون له يدان مع قوله : ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص : ٧٥] .

---

(٢) أخرجه البخارى ١١/٢٩٩ : فى الرقاق، باب الصراط جسر جهنم، ومسلم رقم (١٨٢) في الايمان : باب معرفة الرؤية من حديث أبى هريرة، والدارمى ١/٢٧-٢٨ باب ما أعطى النبى ﷺ من الفضل من حديث أنس بن مالك .

وأنكروا أن يكون له عينان مع قوله: ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ [القمر : ١٤] ولقوله : ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طـه : ٣٩] .

وأنكروا أن يكون لله علم مع قولـه : ﴿ أَنْزَلَـهُ بِعِلْمِـهِ ﴾ [النساء : ١٦٦].

وأنكروا أن تكون لله قوة مع قوله : ﴿ ذُو القُوَّةِ المتينُ ﴾ [الذاريات : ٥٨]

ونفوا ما رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم « ينزل كل ليلة الى سماء الدنيا(٣)... » وغير ذلك، مما رواه الثقات عـن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكذلك جميع أهـل البـدع من الجهمية(٤) والمرجئـة(٥)

---

(٣) رواه البخاري ٢٥/٣ ، ٢٦ ، في التهجد : باب الدعاء والصلاة من آخر الليل و٣٨٩/١٣ في التوحيد : باب قوله تعالى :﴿ يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾ ومسلم رقم (٧٥٨) في المسافرين : باب الترغيب في الدعاء والذكر ، وأبو داود رقم (٤٧٣٣) في السنة : باب في الرد على الجهمية ، وابن ماجه رقم (١٣٦٦) في اقامة الصلاة: باب أي ساعات الليل أفضل، ومالك في «الموطأ» ٢١٤/١، وأحمد في «المسند» ٢٥٨/٢، ٢٦٧، ٢٨٢، ٤١٩، ٤٨٧، ٥٠٤، والدرامي ٣٤٦/١، ٣٤٧، كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقد افرد شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى شرح هذا الحديث بمصنف مستقل أسماه « شرح حديث النزول » وهو مطبوع

(٤) الجهمية : نسبة إلى جهم بن صفوان ، وهم الجبرية الخالصة ، وافقوا المعتزلة في نفي الصفات الأزلية ، وزادوا عليهم أشياء أخرى .

(٥) المرجئة : وهم أصناف ، صنف منهم يقولون : لا يضر مع الايمان معصية ، كما لا ينفع مع الكفر طاعة .

والحرورية[٦] ، أهل الزيغ فيما ابتدعوا وخالفوا الكتاب والسنة ، وما كان عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ، وأجمعت عليه الأمة كفعل المعتزلة والقدرية[٧]، وأنا ذاكر ذلك باباً باباً وشيئاً شيئاً إن شاء الله وبه المعونة والتأييد ، ومنه التوفيق والتسديد .

* * *

(٦) الحرورية : طائفة من الخوارج ، نسبوا إلى حروراء ، وهو موضع قريب من الكوفة ، كان أول مجتمعهم وتحكيمهم فيها . وهم من الخوارج الذين قاتلهم علي رضي الله عنه ، وكان عندهم من التشديد في الدين ما هو معروف .

(٧) القدرية : لقبوا بذلك لاسنادهم أفعال العباد إلى قدرتهم ، وإنكارهم القدر فيها ، وهذا يقتضي إثبات خالق لأفعال العباد غير الله .

الباب الثاني
في إبانة قول أهل الحق والسنة

فان قال لنا قائل : قد أنكرتم قولَ المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة ، فعرِّفونا قولكم الذي به تقولون ، وديانتكم التي بها تدينون .

قيل له : قولنا الذي نقول به ، وديانتنا التي ندين بها : التمسك بكتاب ربنا عزّ وجل ، وبسنة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ، ونحن بذلك معتصمون . وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل نضر الله وجهه ، ورفع درجته وأجزل مثوبته ، قائلون ، ولمن خالف قوله مجانبون ، لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل ، الذي أبان الله به الحق ، ودفع به الضلال ، وأوضح به المنهاج ، وقمع به بدع المبتدعين ، وزيغ الزائغين وشك الشاكين ، فرحمة الله عليه من إمام مقدَّم ، وجليل معظَّم ، وكبير مفخَّم ، وعلى جميع أئمة المسلمين .

وجملة قولنا :

١ ـ أنَّا نُقِرُّ بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، وما جاء من عند الله ، وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا نرد من ذلك شيئاً .

٢ ـ وأن الله عز وجل إله واحد لا إله إلا هو ، فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولداً .

٣ ـ وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق .

٤ ـ وأن الجنةَ حقٌّ والنارَ حَقٌّ .

٥ ـ وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور .

٦ ـ وأن الله استوى على عرشه كما قال : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَىٰ العَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥].

٧ ـ وأن له وجهاً بلا كيف كما قال : ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن : ٢٧] .

٨ ـ وأن له يدين بلا كيف ، كما قال : ﴿خَلَقْتُ بَيَدَيَّ ﴾ [ص : ٧٥] . وكما قال : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة : ٦٤] .

٩ ـ وأن له عيناً بلا كيف ، كما قال : ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ [القمر : ١٤] .

١٠ ـ وأن من زعم أن أسماء الله غيره كان ضالاً .

١١ ـ وأن لله عِلْماً كما قال: ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ [النساء :١٦٦] وكما قال: ﴿وما تَحْمِلُ مِنْ أُنْثى ولا تَضَعُ إلَّا بِعِلْمِهِ﴾ [فاطر: ١١].

١٢ ـ ونثبت لله السمعَ والبصرَ ولا ننفي ذلك، كما نفته المعتزلة والجهمية والخوارج .

١٣ ـ ونثبت أن لله قوة كما قال : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ الذِي خَلَقَهُمْ هو أَشَدُّ مِنْهُم قُوَّةً ﴾ [فصلت : ١٥].

١٤ ـ ونقول : إن كلام الله غير مخلوق ، وإنه لم يخلق شيئاً إلا وقد قال له : كن فيكون ، كما قال : ﴿ إِنَّما قَوْلُنَا لِشَيءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [النحل : ٤٠].

١٥ ـ وأنّه لا يكون في الأرض شيء من خير وشر إلا ما شاء الله، وأن الأشياء تكون بمشيئة الله عز وجلّ .

وأن أحداً لا يستطيع أن يفعل شيئاً قبل أن يفعله الله .

١٦ ـ ولا نستغني عن الله ، ولا نقدر على الخروج من علم الله عز وجل .

١٧ ـ وأنه لا خالق إلا الله ، وأن أعمال العبد مخلوقة لله مقدورة،كما قال:﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٦].

وأن العباد لا يقدرون أن يخلقوا شيئاً وهم يخلقون ، كما قال : ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ ﴾ [فاطر : ٣] . وكما قال : ﴿لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ [النحل : ٢٠] . وكما قال : ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنَّ لا يَخْلُقُ ﴾ [النحل : ١٧] ، وكما قال ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾[الطور:٣٥]. وهذا في كتاب الله كثير .

١٨ ـ وأن الله وفَّق المؤمنين لطاعتِه ، ولطف بهم ، ونظر إليهم ، وأصلحهم ، وهداهم ، وأضل الكافرين ، ولم يهدهم ، ولم يلطف بهم بالايمان ، كما زعم أهل الزيغ والطغيان ، ولو لطف بهم وأصلحهم لكانوا صالحين ، ولو هداهم لكانوا مهتدين ، كما قال تبارك وتعالى : ﴿ مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ المُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٨].

وأن الله يَقْدِر أنْ يُصْلِح الكافرين ، ويلطف بهم حتى يكونوا مؤمنين ، ولكنه أراد أن يكونوا كافرين كما علم ، وأنه خذلهم وطبع على قلوبهم .

١٩ ـ وأن الخير والشر بقضاء الله وقدره . وأنا نؤمن بقضاء الله وقدره ، خيره وشره ، حلوه ومره . ونعلم أن ما أخطأنا لم يكن ليصيبنا ، وأن ما أصابنا لم يكن ليخطئنا ، وأن العباد لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله كما قال عز وجل : ﴿ قُلْ لاَ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعَاً وَلاَ ضَرَّاً إلاّ مَا شَاءَ الله ﴾ [الأعراف: ١٨٨]. وأنا نَلْجَأُ في أمورنا إلى الله ، ونثبت الحاجة والفقر في كل وقت إليه .

٢٠ ـ ونقول: إن القرآن كلام الله غير مخلوق ، وأن من قال بخلق القرآن فهو كافر .

٢١ ـ وندين بأن الله تعالى يُرى في الآخرة بالأبصار كما يرُى القمر ليلة البدر ، يراه المؤمنون كما جاءت الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ونقول : إن الكافرين محجوبون عنه اذا رآه المؤمنون في

الجنة ، كما قال الله عز وجلّ : ﴿ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِم يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين : ١٥] وأن موسى عليه السلام سأل الله عز وجل الرؤية في الدنيا ، وأن الله تعالى تجلى للجبل ، فجعله دَكّاً ، فأعلم بذلك موسى أنه لا يراه في الدنيا .

٢٢ ـ وندين بأن لا نُكَفِّر أحداً من أهل القبلة بذنب يرتكبه كالزنا والسرقة وشرب الخمر ، كما دانت بذلك الخوارج وزعمت أنهم كافرون .

ونقول : إن من عمل كبيرة من هذه الكبائر مثل الزنا والسرقة وما أشبههما مستحلاً لها غير معتقد لتحريمها كان كافراً .

٢٣ ـ ونقول : إن الإسلام أوسع من الإيمان ، وليس كل إسلام إيمان .

٢٤ ـ وندين بأن الله تعالى يُقَلِّب القلوب «وأن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن»[٨] ، وأنه سبحانه «يضع السموات على

---

(٨) رواه مسلم رقم (٢٦٥٤) في القدر : باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء وأحمد ١٦٨/٢ و١٧٣ من حديث عبد الله عمرو ، وابن ماجة برقم (٣٨٣٤) في الدعاء : باب دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم . والترمذي رقم (٢١٤١) في القدر : باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن من حديث أنس بن مالك وأحمد ٣٠٢/٦ و٣١٥ والترمذي رقم (٣٥١٧) في الدعوات باب رقم ٨٩ من حديث أم سلمة وأحمد ٢٥١/٦ من حديث عائشة ٣٠٢ . ٣١٥

أصبع والأرضين على أصبع»[٩] كما جاءت الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير تكييف.

٢٥ ـ وندين بأن لا ننزل أحداً من أهل التوحيد والمتمسكين بالإيمان جنةً ولا ناراً إلا من شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ، ونرجو الجنة للمذنبين ، ونخاف عليهم أن يكونوا بالنار معذبين .

ونقول : إن الله عز وجل يخرج قوماً من النار بعد أن امتحشوا بشفاعة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم تصديقاً لما جاءت به الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[١٠]

٢٦ ـ ونؤمن بعذاب القبر وبالحوض ، وأن الميزان حق ،

---

(٩) أخرجه البخاري ١٣/٣٣٥، ٣٣٦ و٣٦٩ و٣٩٧ في التوحيد: باب قوله تعالى: ﴿لما خلقت بيدي﴾ وباب قوله تعالى: ﴿إن الله يمسك السموات والأرض﴾ وباب كلام الرب تعالى يوم القيامة مع الأنبياء. و٨/٤٢٣ في التفسير: باب قوله تعالى: ﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة﴾، ومسلم رقم (٢٧٨٦) (٢١) في المنافقين: باب صفة القيامة والجنة والنار والترمذي رقم (٣٢٣٦) و(٣٢٣٨) في التفسير: باب ومن سورة الزمر، كلهم من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه.

(١٠) خروجهم من النار بعد أن امتحشوا تقدم حديثه ص١٤ وحديث الشفاعة رواه البخارى ١٣/٣٩٥-٣٩٧ في التوحيد: باب كلام الرب تعالى يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، و١٣/٣٣٢ باب قوله تعالى ﴿لما خلقت بيدي﴾، و١٣/٣٩٨ باب قوله تعالى ﴿وكلم موسى تكليما﴾ و٨/١٢٢ في تفسير سورة البقرة: باب ﴿علم آدم الأسماء كلها﴾ ومسلم رقم (١٩٣) من حديث أنس بن مالك والبخاري ٦/٢٦٤، ٢٦٥ ومسلم (١٩٤) في الايمان: باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها من حديث أبى هريرة والبخارى ١١/٣٦٧، ٣٧١ من حديث جابر.

والصراط حق ، والبعث بعد الموت حق . وأن الله عز وجل يوقف العباد في الموقف ويحاسب المؤمنين .

٢٧ ـ وأن الإيمان قولٌ وعَملٌ يزيد وينقص ، ونسلم الروايات الصحيحة في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم التي رواها الثقات عدل عن عدل حتى تنتهي الرواية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢٨ ـ وندين بحب السلف ، الذين اختارهم الله عز وجل لصحبة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ، ونثني عليهم بما أثنى الله به عليهم ، ونتولاهم أجمعين .

٢٩ ـ ونقول : إن الإمام الفاضل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق رضوان الله عليه ، وأن الله أعزّ به الدين وأظهره على المرتدين ، وقدَّمه المسلمون للإمامة ، كما قدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة ، وسموه بأجمعهم خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ثم عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وأن الذين قتلوه قتلوه ظلماً وعدواناً ، ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فهؤلاء الأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافتهم خلافة النبوة .

ونشهد بالجنة للعشرة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بها ، ونتولى سائر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ونكف عما شجر بينهم . وندين الله بأن الأئمة الأربعة خلفاء راشدون مهديون فضلاء لا يوازيهم في الفضل غيرهم .

٣٠ ـ ونصدق بجميع الروايات التي يثبتها أهل النقل من النزول إلى السماء الدنيا ، وأن الرب عز وجل يقول : هل من سائل ، هل من مستغفر[١١] وسائر ما نقلوه وأثبتوه خلافاً لما قاله أهل الزيغ والتضليل .

٣١ ـ ونعوِّل فيما اختلفنا فيه على كتاب رَبِّنا تبارك وتعالى وسنة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ، وإجماع المسلمين ، وما كان في معناه . ولا نبتدع في دين الله بدعة لم يأذن الله بها ، ولا نقولُ على الله ما لا نعلم .

٣٢ ـ ونقول : إنَّ الله عزّ وجلّ يجيء يوم القيامة كما قال :

---

(١١) رواه مسلم (٧٥٨) (١٧٠) (١٧٢) في صلاة المسافرين : باب الترغيب والدعاء والذكر في آخر الليل . وللحديث صيغ أخرى رواها البخاري في التهجد : باب الدعاء والصلاة من آخر الليل وفي الدعوات : باب الدعاء نصف الليل وفي التوحيد : باب قوله تعالى : ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾ ومسلم (٧٥٨) (١٦٨) (١٦٩) وأبو داود رقم (٤٧٣٣) في السنة . والترمذى رقم (٣٤٩٣) في الدعوات وأحمد ٢/٢٥٨ ، ٢٦٧ ، ٢٨٢ ، ٤١٩ ، ٤٨٧ ، ٥٠٤ ، ٥٢١ من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

﴿وَجَاءَ رَبُّكَ والمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[الفجر:٢٢]وأن الله عزوجل يَقْرُب من عباده كيف شاء ، كما قال : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ [ق : ١٦] وكما قال:﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى* فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾ [النجم : ٨ ـ ٩] .

٣٣ ـ ومن ديننا أن نصلي الجمعة والأعياد وسائر الصلوات والجماعات خلف كل برٍّ وفاجر ، كما روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه كان يصلي خلف الحجاج .

٣٤ ـ وأن المسح على الخفين سنة في الحضر والسفر خلافاً لقول من أنكر ذلك .

٣٥ ـ ونرى الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح والاقرار بامامتهم ، وتضليل من رأى الخروج عليهم ، اذا ظهر منهم ترك الاستقامة . وندين بإنكار الخروج عليهم بالسيف ، وترك القتال في الفتنة .

٣٦ ـ ونقر بخروج الدجال ، كما جاءت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم(١٢) .

---

(١٢) البخاري ٨٧/١٣ في الفتن:باب ذكر الدجال.وفي الأنبياء:باب ما ذكر عن بني =

٣٧ ـ ونؤمن بعذاب القبر ومُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ ومساءلتهما المدفونين في قبورهم .

٣٨ ـ ونصدق بحديث المعراج(١٣) .

٣٩ ـ ونصحح كثيراً من الرؤيا في المنام ونقـرُّ أن لذلك تفسيراً .

٤٠ ـ ونرى الصدقة عن موتى المسلمين ، والدعاء لهم ونؤمن بأن الله ينفعهم بذلك .

٤١ ـ ونصدق بأن في الدنيا سِحْراً وسَحَرَةً، وأن السحر كائِنٌ موجود في الدنيا .

٤٢ ـ وندين بالصلاة على من مات من أهل القبلة بَرِّهِـمْ وفَاجِرِهم وتوارثهم .

= اسرائيل، و ٨٩/١٣ـ ٩١، وفي فضائل المدينة: باب لا يدخل الدجال المدينة. ومسلم (٢٩٣٣)في الفتن: باب ذكرالدجال وصفتهاومن معه ولغاية(٢٩٤٧). والترمذي(٢٢٣٥) لغاية (٢٢٤٦) في الفتن وأبو داود (٤٣١٥) في الملاحم ولغاية (٤٣٢٨). وأحمد في «المسند» ٤/١، ٧، ٣٣/٢، ٣٧، ٦٧، ١٠٤، ١٨، ١٢٤، ١٣١، ٢٣٧، ٣٤٩، ٤٢٩، ٤٥٧، ٥٣٠، ٤٢/٣، ٣٢/٥، ٣٨، ٤٣، ٤٧. وابن ماجه من (٤٠٧١) ولغاية (٤٠٨٨) في الفتن باب فتنة الدجال.

(١٣) رواه البخاري ٣٩٩/١٣ـ ٤٠٦ في التوحيد: باب ما جاء في قوله عز وجل ﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾ وفي الأنبياء: باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم، ومسلم رقم (١٦٢) في الايمان: باب الاسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم الى السموات والنسائي ٢٢١/١ في الصلاة: باب فرض الصلاة، والترمذي رقم (٣١٣٠) في التفسير: باب ومن سورة بني اسرائيل.

٤٣ ـ ونقر أن الجنة والنار مخلوقتان .

٤٤ ـ وأن من مات أو قتل فبأجله مات أو قتل .

٤٥ ـ وأن الأرزاق من قِبَل الله عز وجل يرزقها عباده حلالاً وحراماً .

٤٦ ـ وأن الشيطان يوسوس للإنسان ويشككه ويتخبَّطه خلافاً لقول المعتزلة والجهمية ، كما قال الله عزّ وجل : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُوْنَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ المَسِّ ﴾ [البقرة : ٢٧٥] ، وكما قال : ﴿ مِنْ شَرِّ الوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الجَنَّة والنَّاسِ ﴾ [الناس : ٤ ـ ٦] .

٤٧ ـ ونقول : إن الصالحين يجوز أن يخصهم الله عزّ وجلّ بآيات يظهرها عليهم .

٤٨ ـ وقولنا في أطفال المشركين : «إن الله يؤجج لهم في الآخرة ناراً ، ثم يقول لهم اقتحموها» كما جاءت بذلك الرواية[١٤] .

---

(١٤) اختلف العلماء قديماً وحديثاً في أولاد المشركين على أقوال، منها القول الذي ذكره =

٤٩ ـ وندين الله عز وجل بأنه يَعْلَم ما العباد عاملون ، وإلى ما هم صائرون ، وما كان وما يكون ، وما لا يكون أنْ لو كان كيف كان يكون .

٥٠ ـ وبطاعة الأئمة ونصيحة المسلمين .

٥١ ـ ونرى مفارقة كل داعية الى بدعة ومجانبة أهل الأهواء : وسَنَحْتَجُّ لما ذكرناه من قولنا وما بقي منه مما لم نذكره باباً باباً وشيئاً شيئاً ، إن شاء الله تعالى .

* * *

= المصنف رحمه الله أنهم يمتحنون في الآخرة بأن ترفع لهم نار، فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً، ومن أبى عذب، رواه البزار من حديث أنس بن مالك وأبى سعيد الخدرى رضى الله عنهما، ورواه الطبرانى من حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه.

قال الحافظ فى «الفتح» ٣/١٩٥ وقد صحت مسألة الامتحان فى حق المجنون ومن مات فى الفترة من طرق صحيحة ومن الأقوال أنهم فى الجنة، قال النووى: وهو المذهب الصحيح الذي صار إليه المحققون لقوله تعالى: ﴿وما كنا معذبي حتى نبعث رسولاً﴾ وانظر «الفتح» ٣/١٩٥، ١٩٦ .

الباب الثالث
الكلام في إثبات رؤية الله تعالى بالأبصار في الآخرة

قال الله عز وجلّ : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ يعني مشرقة ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة : ٢٢ ـ ٢٣] يعني رائية ، وليس يخلو النظر من وجوه نحن ذاكروها :

١ ـ إما أن يكون الله عز وجل عَنى نظر الاعتبار ، كقوله تعالى: ﴿ أَفَلاَ يَنْظُرُونَ إِلَىٰ الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ [الغاشية : ١٧].

٢ ـ أو يكون عنى نظر الانتظار كقوله تعالى : ﴿ مَا يَنْظُرُونَ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً ﴾ [يس : ٤٩] .

٣ ـ أو أن يكون عنى نظر تعطف كقوله تعالى ﴿ وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [آل عمران : ٧٧].

٤ ـ أو يكون عنى نظر الرؤية .

فلا يجوز أن يكون الله عز وجل عنى نظر التفكير والاعتبار ،

لأن الآخرة ليست بدار اعتبار ، ولا يجوز أن يكون عنى نظر الانتظار ، لأن النظر اذا ذكر مع ذكر الوجه ، فمعناه نظر العينين اللتين في الوجه ، كما إذا ذكر أهل اللسان نظر القلب ، فقالوا : انظر في هذا الأمر بقلبك ، لم يكن معناه نظر العينين ، ولذلك إذا ذكر النظر مع الوجه لم يكن معناه نظر الانتظار الذي بالقلب. وأيضاً فإن نظر الانتظار لا يكون في الجنة ، لأن الانتظار معه تنغيص وتكدير ، وأهل الجنة لهم في الجنة «ما لا عين رأت ولا أذن سمعت»[١٥] ، من العيش السليم والنعيم المقيم ، واذا كان هذا هكذا ، لم يجز أن يكونوا منتظرين ، لأنهم كلما خطر ببالهم شيء أُتوا به مع خطوره ببالهم ، وإذا كان ذلك كذلك ، فلا يجوز أن يكون الله عز وجل أراد نظر التعطف ، لأن الخلق لا يجوز أن يتعطفوا على خالقهم ، وإذا فسدت الأقسام الثلاثة ، صح القسم الرابع من أقسام النظر ، وهو أن معنى قوله : ﴿ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة : ٢٣] أنها رائية ترى ربها عز وجل .

---

(١٥) البخاري ٦/ ٢٣٠ في بدء الخلق : باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة و٨/ ٣٩٦ في التفسير باب سورة السجدة ، و١٣/ ٣٩١ في التوحيد : باب قوله تعالى : ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾ ومسلم رقم (١٨٩) في الايمان باب أدنى أهل الجنة منزلة و(٢٨٢٤) و(٢٨٢٥) في الجنة والترمذي رقم (٣١٩٥) في التفسير : باب ومن سورة السجدة و(٣٢٨٨) باب ومن سورة الواقعة وابن ماجه رقم (٤٣٢٨) في الزهد : باب صفة الجنة ، وأحمد في «المسند» ٥/ ٣٣٤ .

ومما يبطل قول المعتزلة : أن الله عز وجل أراد بقوله : ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَة ﴾ نظر الانتظار ، أنه قال : ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَة﴾ وَنَظَرُ الانتظار لا يكون مقروناً بقوله « الى » لأنه لا يجوز عند العرب أن يقولوا في نظر الانتظار إلى ، ألا ترى أن الله عز وجل لما قال : ﴿ مَا يَنْظُرُونَ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً ﴾ [يس : ٤٩] لم يقل إلى ، إذ كان معناه الانتظار . وقال عن بلقيس : ﴿ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾ [النحل : ٣٥] فلما أرادت الانتظار لم تقل الى ، وقال امرؤ القيس :

فإنكما إن تنظراني ساعة من الدهر تنفعْني لدى أم جندب

فلما أراد الانتظار لم يقل : « إلى » فلما قال عز وجل : ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ علمنا أنه لم يرد الانتظار ، وإنما أراد نظر الرؤية .

ولما قرن الله النظر بذكر الوجه أراد نظر العينين اللتين في الوجه ، كما قال : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾ [البقرة: ١٤٤] فذكر الوجه ، وانما أراد تقلب عينيه نحو السماء ينتظر نزول الملك عليه بصرف الله له عن قبلة بيت المقدس إلى الكعبة .

فإن قال قائل : لم لا تقولون:إن قوله: ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾

إنـما أراد إلى ثواب ربها ناظرة ؟

قيل له : ثواب الله عز وجل غيره تعالى ، والله تعالى قال : ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَة ﴾ ولم يقل: إلى غيره ناظرة ، والقرآن على ظاهره ، وليس لنا أن نزيله عن ظاهره إلا لحجة وإلاّ فهو على ظاهره ،

ألا ترى أن الله عز وجل لما قال: صَلُّوا لي واعبدوني لم يجز أن يقول قائل: إنه أراد غيره، ويزيل الكلام عن ظاهره، فلذلك لما قال: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ لم يجز لنا أن نزيل القرآن عن ظاهره بغير حجة. ثم يقال للمعتزلة: إن جازلكم أن تزعمواأن قول اللهعزوجل ﴿إِلـى رَبِّهَا نَاظِرةٌ ﴾ إنمـا أراد به أنها إلـى غيره ناظرة ، فلم لا جـاز لغيركم أن يقول: إن قول الله عز وجل ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَـارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]أرادبهالاتـدرك غيره ولم يرد أنها لاَ تدركه؟ وهذا ما لا يقدرون على الفرق فيه.

٣ ـ ودليل آخر.

ومما يدل علـى أن الله تعالـى يرى بالأبصـار قول موسى : ﴿ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ﴾ [الأعـراف : ١٤٣] ولا يجوز أن يكون موسى عليه السلام الذي قد ألبسه الله تعالـى

جلباب النبيين ، وعصمه بما عصم به المرسلين ، قد سأل ربه ما يستحيل عليه ، واذا لم يجز ذلك على موسى فقد علمنا أنه لم يسأل ربه مستحيلاً ، وأن الرؤية جائزةٌ على ربنا عزَّ وجلَّ .

ولو كانت الرؤية مستحيلة على ربنا كما زعمت المعتزلة ولم يعلم ذلك موسى عليه السلام ، وعلموا هم ، لكانوا على قولهم أعلم بالله من موسى عليه السلام ، وهذا ما لا يدَّعيه مسلم .

فإن قال قائل : ألستم تعلمون حكم الله في الظهار اليوم ؟ ولم يكن نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلم ذلك قبل أن ينزل ؟

قيل له : لم يكن يعلم نبي الله صلى الله عليه وسلم ذلك قبل أن يلزم الله العباد حكم الظهار ، فلما لزمهم الحكم به أعلم نبيه قبلهم ، ثم أعلم نبيُ الله عبادَ الله ذلك ، ولم يأت عليه وقت لزمه حكمه ، فلم يعلمه عليه السلام .

وأنتم زعمتم أن موسى عليه السلام كان قد لزمه أن يعلم حكم الرؤية ، وأنها مستحيلة عليه ، وإذا لم يعلم ذلك وقت أن

لزمه علمه ،وعلمتموه أنتم الآن ، لزمكم بجهلكم ، أنكم بما لزمكم العلم به الآن أعلم من موسى عليه السلام بما لزمه العلم به ، وهذا خروج عن دين المسلمين .

٤ ـ ودليل آخر :

مما يدل على جواز رؤية الله تعالى بالأبصار قول الله تعالى لموسى: ﴿ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ﴾ [الأعراف : ١٤٣]

فلما كان الله عز وجل قادراً على أن يجعل الجبل مستقراً ، كان قادراً على الأمر الذي لو فعله لرآه موسى ، فدل ذلك على أن الله تعالى قادر على أن يُري عبادَه نفسَه وأنه جائز رؤيته .

فإن قال قائل : فلم لا قلتم إن قولَ الله تعالى : ﴿ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ﴾ تبعيد للرؤية ؟ قيل له :

لو أراد الله عز وجل تبعيد الرؤية لقرن الكلام بما يستحيل وقوعه ، ولم يقرنه بما يجوز وقوعه ، فلما قرنه باستقرار الجبل ، وذلك أمر مقدور لله سبحانه ، دل ذلك على أنه جائز أن يُرى الله عز وجل . ألا ترى أن الخنساء لما أرادت تبعيد صُلْحِها لمن

كان حرباً لأخيها قرنت الكلام بمستحيل ، فقالت :

ولا أصالِحُ قَوْمَاً كنتَ حَرْبَهُمُ حتى تعودَ بياضاً حُلْكَة القارِ

والله عز وجل إنما خاطب العرب بلغتها ، ونحن نرجع إلى ما نجده مفهوماً في كلامها ، ومعقولاً في خطابها ، فلما قرن الله الرؤية بأمر مقدور جائز ، علمنا أن رؤية الله بالأبصار جائزة غير مستحيلة .

٥ ـ ودليل آخر

قال عز وجل : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس : ٢٦] . قال أهل التأويل : النظر إلى الله عز وجل ، ولم يُنْعِم الله عز وجل على أهل جنانه بأفضل من نظرهم إليه ورؤيتهم له .

وقال عز وجل ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ [ق : ٣٥] قيل : النظر إلى الله عز وجل .

وقال : ﴿ تَحِيَّتُهُم يَوْمَ يَلْقَوْنَهَ سَلَامٌ ﴾ [الأحزاب : ٤٤] وإذا لقيه المؤمنون رأوه .

قال الله عز وجل ﴿ كَلاَّ إِنَّهُم عَن رَبِّهِم يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين : ١٥] فحجبهم عن رؤيته ولا يحجب عنها المؤمنين .

٦ ـ سؤال

فإن قال قائل : فما معنى قوله : ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ ؟

قيل له : يحتمل أن يكون: لا تدركه في الدنيا وتدركه في الآخرة ، لأن رؤية الله تعالى أفضل اللذات ، وأفضل اللذات يكون في أفضل الدارين .

ويحتمل أن يكون الله عز وجل أراد بقوله : ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ [الأنعام : ١٠٣] يعني لا تدركه أبصار الكافرين المكذبين ، وذلك أن كتاب الله يُصَدِّقُ بعضه بعضاً ، فلما قال في آية : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة : ٢٢ ـ ٢٣] وقال في آية أخرى : ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ علمنا أنه إنما أراد أبصار الكفار لا تدركه .

٧ ـ والجواب عليها

فإن قال قائل :

قد استكبر الله سؤال السائلين له أن يُرى بالأبصار ، فقال :

﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً ﴾[النساء:١٥٣].

فيقال لهم :

إن بني إسرائيل سألوا رؤية الله عز وجل على طريق الإنكار لنبوة موسى عليه الصلاة والسلام وترك الإيمان به حتى يروا الله ، لأنهم قالوا :﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللهَ جَهْرَةً ﴾[البقرة:٥٥]

فلما سألوه الرؤية على طريق ترك الإيمان بموسى عليه السلام حتى يريهم الله نفسه استعظم الله سؤالهم من غير أن تكون الرؤية مستحيلة عليه ، كما استعظم الله سؤال أهل الكتاب أن ينزل عليهم كتاباً من السماء من غير أن يكون ذلك مستحيلاً ، ولكن لأنهم أبوا أن يؤمنوا بنبي الله صلى الله عليه وسلم حتى ينزل عليهم من السماء كتاباً .

٨ ـ دليل آخر

ومما يدل على رؤية الله عز وجل بالأبصار ما روته الجماعات من الجهات المختلفات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا

تضارون في رؤيته »[١٦] . والرؤية إذا أطلقت إطلاقاً ومُثِّلَتْ برؤية العيان ، لم يكن معناها إلا رؤية العيان . ورويت الرؤية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من طرق مختلفة ، عدة رواتها أكثر من عدة خبر الرجم ، ومن عدة من روى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لا وصية لوارث »[١٧] . ومن عدة رواة المسح على الخفين ، ومن عدة رواة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها »[١٨] ، وإذا كان الرجم وما ذكرناه سنناً عند المعتزلة ، كانت الرؤية أولى أن تكون سنة لكثرة رواتها ونقلتها يرويها خلف عن سلف .

---

(١٦) أخرجه البخاري ٢٧/٢ ـ ٢٨ في المواقيت : باب فضل صلاة العصر و٤٥٨/٨ في التفسير ٥٠ : باب ﴿ فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ﴾ و٣٨٧/١١ في الرقاق : باب الصراط جسر جهنم و٣٥٦/١٣ ـ ٣٥٧ في التوحيد : باب قوله تعالى ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) ومسلم رقم (٦٣٣) في المساجد : باب فضل صلاتي الصبح والعصر. والترمذي رقم (٢٥٥٢) في أبواب صفة الجنة، وأبو داود (٤٧٢٩) في السنة، باب في الرؤية وأحمد في (المسند» ١٦/٣، ١٧، ٢٦، ٢٧ .

(١٧) أخرجه أحمد في « المسند » ٢٦٧/٥ ، وأبو داود رقم (٢٨٧٠) في الوصايا : باب ما جاء في الوصية للوارث ، والترمذي رقم (٢١٢٢) في الوصايا ، باب ما جاء لا وصية لوارث ، والنسائي ٢٤٧/٦ في النكاح : باب ابطال الوصية للوارث ، وابن ماجة رقم (٢٧١٣) في الوصايا : باب لا وصية لوارث ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وهو كما قال .

(١٨) البخاري ١٣٨/٩ و١٣٩ في النكاح : باب لا تنكح المرأة على عمتها ، ومسلم رقم

وحديث « أنّى أراه »[١٩] لا حجة فيه ، لأنه عندما سأل سائل النبي صلى الله عليه وسلم عن رؤية الله عز وجل في الدنيا وقال له : هل رأيت ربك ، فقال : « نور : أنّى أراه » ؟ لأن العين لا تدرك في الدنيا الأنوار المخلوقة على حقائقها ، لأن الانسان لو حدق بنظره إلى عين الشمس فأدام النظر إلى عينها لذهب أكثر نور بصره ، فإذا كان الله عز وجل حكم في الدنيا بأن لا تقوم العين بالنظر إلى عين الشمس ، فأحرى أن لا يَثْبُتَ البصر للنظر إلى الله عز وجل في الدنيا إلا أن يقويها الله عز وجل، فرؤية الله سبحانه في الدنيا قد اختلف فيها، وقد روي عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله عز وجل تراه العيون في الآخرة . وما روي عن أحد منهم أن الله عز وجل لا تراه العيون في الآخرة ، فلما كانوا على هذا مجمعين وبه

=(١٤٠٨) في النكاح : باب تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها في النكاح ، ومالك في «الموطأ» ٥٣٢/٢ في النكاح: باب ما لا يجمع بينه من النساء، وأبو داود رقم (٢٠٦٥) و(٢٠٦٦) في النكاح : باب ما يكره أن يجمع بينهن من النساء ، والترمذي رقم (١١٢٦) في النكاح : باب ما جاء لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها ، والنسائي ٩٦/٦ - ٩٨ في النكاح : باب الجمع بين المرأة وعمتها ، وباب تحريم الجمع بين المرأة وخالتها .

(١٩) أخرجه مسلم (١٧٨) في الايمان : باب قوله عليه السلام نور أني أراه من حديث أبي ذر رضي الله عنه .

قائلين ، وإن كانوا في رؤيته في الدنيا مختلفين ، ثبتت الرؤية في الآخرة إجماعاً ، وإن كانت في الدنيا مختلفاً فيها . ونحن إنما قصدنا إلى إثبات رؤية الله في الآخرة ، على أن هذه الرواية على المعتزلة لا لهم ، لأنهم ينكرون أن الله نور في الحقيقة ، فإذا احتجوا بخبرٍ هم له تاركون ، وعنه منحرفون ، كانوا محجوجين .

٩ ـ دليل آخر

ومما يدل على رؤية الله عز وجل بالأبصار ، أنه ليس موجود إلا وجائز أن يريناه الله عز وجل ، وإنما لا يجوز أن يُرى المعدوم ، فلما كان الله عز وجل موجوداً مثبتاً كان غير مستحيل أن يرينا نفسه عزّ وجلّ ، وإنما أراد مَنْ نفى رؤية الله عز وجل بالأبصار التعطيل ، فلما لم يمكنهم أن يُظهروا التعطيل صراحاً أظهروا ما يؤول بهم إلى التعطيل والجحود ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

١٠ ـ دليل آخر

ومما يدل على رؤية الله سبحانه بالأبصار أن الله عز وجل يرى الأشياء ، وإذا كان للأشياء رائياً فلا يرى الأشياء من لا

يرى نفسه ، وإذا كان لنفسه رائياً فجائز أن يرينا نفسه . وذلك أن من لا يعلم نفسه لا يعلم شيئاً ، فلما كان الله عز وجل عالماً بالأشياء كان عالماً بنفسه ، فلذلك من لا يرى نفسه لا يرى الأشياء ، فلما كان الله عز وجل رائياً للأشياء كان رائياً لنفسه ، واذا كان رائياً لها فجائز أن يرينا نفسه ، كما أنه لما كان عالماً بنفسه جاز أن يعلمناها ، وقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وأَرَىٰ ﴾ [طه : ٤٦] فأخبر أنه سمع كلامهما ورآهما . ومن زعم أن الله عز وجل لا يجوز أن يُرى بالأبصار يلزمه أنْ لا يجوز أن يكون الله عز وجل رائياً ، ولا عالماً ، ولا قادراً ، لأن العالم القادر الرائي جائز أن يرى .

١١ - مسألة

فإن قال قائل : قول النبي صلى الله عليه وسلم : « ترون ربكم » يعني تعلمون ربكم اضطراراً .

قيل له : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه هذا على سبيل البشارة، فقال: فكيف بكم إذا رأيتم الله عز وجل. ولا يجوز أن يبشرهم بأمر يَشْرَكهم فيه الكفار على أن النبي صلى الله عليه

وسلم قال : « ترون ربكم»*وليس يعني رؤية دون رؤية بل ذلك عام في رؤية العين ورؤية القلب .

١٢ ـ دليل آخر

ان المسلمين اتفقوا على أن الجنة « فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»** من العيش السليم والنعيم المقيم ، وليس نعيم في الجنة أفضل من رؤية الله عز وجل بالأبصار ، وأكثر من عَبَدَ الله عز وجلّ عبده للنظر إلى وجهه ، فإذا لم يكن بعد رؤية الله أفضل من رؤية نبيه صلى الله عليه وسلم ، وكانت رؤية نبي الله صلى الله عليه وسلم أفضل لذات الجنة ، كانت رؤية الله عز وجل أفضل من رؤية نبيه صلى الله عليه وسلم ، واذا كان ذلك كذلك لم يحرم الله أنبياءَه المرسلين وملائكته المقربين وجماعة المؤمنين والصديقين من النظر إلى وجهه عز وجل ، وذلك أن الرؤية لا تؤثر في المرئي لأن رؤية الرائي تقوم به ، فإذا كان هذا هكذا، وكانت الرؤية غير مؤثرة في المرئيّ لم توجب تشبيهاً ولا انقلاباً عن حقيقة ، ولم يستحل على الله عز وجل أن يري عباده المؤمنين نفسه في جنانه .

---

* تقدم تخريجه ص ٤٠ رقم ١٦

** تقدم تخريجه ص ٣٢ رقم ١٥ .

١٣ ـ باب

في الرؤية

احتجت المعتزلة في أن الله عز وجل لا يُرى بالأبصار بقوله عزّ وجلّ : ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾ [الأنعام : ١٠٣] وقالوا : فلما عطف الله عز وجل بقوله : ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾ على قوله : ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ وكان قوله : ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾ على العموم أنه يدركها في الدنيا والآخرة ، وأنه يراها في الدنيا والآخرة كان قوله : ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ دليلاً على أنها لا تراه الأبصار في الدنيا والآخرة ، وكان في عموم قوله : ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾ لأن أحد الكلامين معطوف على الآخر .

قيل لهم : فيجب إذا كان عموم القولين واحداً ، وكانت الأبصار أبصار العيون وأبصار القلوب ، لأن الله عزّ وجلّ قال : ﴿ فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج : ٤٦] وقال : ﴿ أُولِي الأَيْدِي والأَبْصارِ﴾ [ص: ٤٥] أي فهي بالأبصارفأرادأبصار القلوب، وهي التي يفضل بها المؤمنون الكافرين ، ويقول أهل اللغة :

فلان بصير بصناعته ، يريدون بصر العلم ، ويقولون : قد أبصرته بقلبي ، كما يقولون قد أبصرته بعيني ، فإذا كان البصر بصر العيون وبصر القلوب ثم أوجبوا علينا أن يكون قوله : ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ في العموم كقوله : ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾ لأن أحد الكلامين معطوف على الآخر ، وجب عليهم بحجتهم أن الله عز وجل لا يُدرك بأبصار العيون ولا بأبصار القلوب ، لأن قوله : ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ في العموم كقوله : ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾ وإذا لم يكن عندهم هكذا ، فقد وجب أن يكون قوله : ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ أخص من قوله : ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾ وانتقض احتجاجهم.

وقيل لهم : إنكم زعمتم أنه لو كان قوله : ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ خاصاً في وقت دون وقت لكان قوله: ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾ خاصاً في وقت دون وقت ، وكان قوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِه شَيْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] وقوله : ﴿ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] وقوله : ﴿ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً ﴾ [يونس : ٤٤] في وقت دون وقت ، فإن جعلتم قوله : ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ خاصاً رجع احتجاجكم عليكم . وقيل لكم :

إذا كان قوله : ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ خاصاً ولم يجب خصوص هذه الآيات ، فلم أنكرتم أن يكون قوله عز وجل: ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ إنما أراد في الدنيا دون الآخرة ، كما أن قوله : ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ أراد بعض الأبصار دون بعض ، ولا يوجِبُ ذلك تخصيص هذه الآيات التي عارضتمونا بها .

فإن قالوا : قوله : ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ يوجب أنه لا يدرَك بها في الدنيا والآخرة ، وليس ينفي ذلك أن نراه بقلوبنا ونبصره بها ولا ندركه بها .

قيل لهم : فما أنكرتم أن يكون لا ندركه بأبصار العيون ، ولا يوجب إذا لم ندركه بها أن لا نراه بها ، فرؤيتنا له بالعيون وإبصارنا له بها ليس بإدراك له بها ، كما أن إبصارنا له بالقلوب ورؤيتنا له بها ليس بإدراك له بها .

فإن قالوا : رؤية البصر هي إدراك البصر .

قيل لهم : ما الفرق بينكم وبين من قال :إن رؤية القلب وإبصاره هي إدراكه وإحاطته ، فإذا كان علم القلب بالله عز وجل وإبصار القلب له رؤيته إياه ليس بإحاطة ولا إدراك ، فما أنكرتم

أن تكون رؤية العيون وإبصارها لله عز وجل ليس بإحاطة ولا إدراك .

١٤ - جواب

ويقال لهم : إذا كان قول الله عز وجل : ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ في العموم كقوله : ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾ لأن أحد الكلامين معطوف على الآخر ، فخبّرونا أليست الأبصار والعيون لا تدركه رؤيةً ولا لمساً ولا ذوقاً ولا على وجه من الوجوه ؟

فإن قالوا : نعم ، فيقال لهم : أخبرونا عن قوله عز وجل ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾ أتزعمون أنه يدركها لمساً وذوقاً بأن يلمسها ، فان قالوا : لا، فيقال لهم : فقد انتقض قولكم، إن قوله : ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾ في العموم كقوله : ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ .

١٥ - سؤال

إن قال قائل منهم : إن البصر في الحقيقة هو بصر العين لا بصر القلب .

قيل له : ولم زعمت هذا . وقد سمى أهل اللغة بصر القلب بصراً ، كما سموا بصر العين بصراً ؟ وإن جاز لك ما قلته جاز

لغيركم أن يزعم أن البصر في الحقيقة هو بصر القلب دون العين ، وإذا لم يجز هذا فقد وجب أن البصر بصر العين وبصر القلب .

١٦ ـ جواب

ويقال لهم : حدِّثونا عن قول الله عز وجل : ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾ ما معناه ؟!

فإن قالوا : معنى يدرك الأبصار أنه يعلمها .

قيل لهم : وإذا كان أحد الكلامين معطوفاً على الآخر ، وكان قوله عز وجل : ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾ معناه يعلمها ، فقد وجب أن يكون قوله : ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ لا تعلمه ، وهذا نفي للعلم لا لرؤية الأبصار .

فإن قالوا : معنى قوله : ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارُ ﴾ أنه يراها رؤية ليس معناها العلم .

قيل لهم : فالأبصار التي في العيون يجوز أن ترى .

فإن قالوا : نعم نقضوا قولهم : إنا لا نرى بالبصر إلا من جنس ما نرى الساعة ، فإن جاز أن يُرى الله وكل ما ليس من

جنس المرئيات وهو الإبصار في العين ، فلم لا يجوز أن يرى نفسه ، وإن لم يكن من جنس المرئيات ؟ ولم لا يجوز أن يرينا نفسه وإن لم يكن من جنس المرئيات ؟

ويقال لهم : حدثونا إذا رأينا شيئاً فبصرناه ، أو إنما يراه الرائي دون البصر ؟

فإن قالوا : إنه محال أن يرى البصر الذي في العين .

فيقال لهم : الآية تنفي أن تراه الأبصار ، ولا تنفي أن يراه المبصرون ، وإنما قال الله عز وجل : ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ فهذا لا يدل على أن المبصرين لا يرونه على ظاهر الآية .

* * *

الباب الرابع
الكلام في أن القرآن كلام الله غير مخلوق

- ١٧ -

إن سأل سائل عن الدليل على أن القرآن كلام الله غير مخلوق . قيل له :

الدليل على ذلك قوله عز وجل : ﴿ ومن آياتِهِ أنْ تَقُومَ السماءُ والأرضُ بأمْرِهِ ﴾ [الروم : ٢٥] وأمر الله هو كلامه ، وقوله فلما أمَرَهما بِالقِيامِ فقامتا لا يهويان ؟ كان قيامهما بأمره ، وقال عزّ وجلّ ﴿ ألاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأمْرُ ﴾ [الأعراف : ٥٤] فالخلق جميع ما خلق داخل فيه ، لأن الكلام إذا كان لفظه لفظاً عاماً فحقيقته أنه عام ، ولا يجوز لنا أن نزيل الكلام عن حقيقته بغير حجة ولا برهان . فلما قال : ﴿ ألا له الخلق ﴾ كان هذا في جميع الخلق ، ولما قال : ﴿ والأمْرُ ﴾ ذكر أمراً غير جميع الخلق فدل ما وصفنا على أن أمر الله غير مخلوق .

فإن قال قائل : أليس قد قال الله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا

لله وَمَلاَئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ﴾ [البقرة : ٩٧] قيل له : نحن نخص القرآن بالإجماع ، وبالدليل ، فلما ذكر الله عز وجل نفسه وملائكته ولم يدخل في ذكر الملائكة جبريل وميكال وإن كانا من الملائكة ثم ذكرهما بعد ذلك ، كأنه قال : الملائكة إلا جبريل وميكال ، ثم ذكرهما بعد ذكر الملائكة فقال : وجبريل وميكال ، ولما قال : ﴿ أَلاَ لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ ﴾ ، ولم يخص قوله ﴿ الخلق ﴾ دليل، كان قوله: ﴿ أَلاَ لَهُ الخَلْقُ ﴾ في جميع الخلق ، ثم بعد ذكره الخلق والأمر ، فأبانَ الأمرَ من الخلق ، وأمرُ الله كلامه ، وهذا يوجب أن كلام الله غير مخلوق ، وقال عز وجل : ﴿ للهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ﴾ [الروم : ٤] يعني من قبل أن يخلق الخلق ومن بعد ذلك ، وهذا يوجب أن الأمر غير مخلوق .

١٨ ـ دليل آخر

ومما يدل من كتاب الله على أن كلامه غير مخلوق ، قوله عزّ وجلّ : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونَ ﴾ [النحل : ٤٠] فلو كان القرآن مخلوقاً لوجب أن يكون مقولاً له: ﴿ كن فيكون ﴾، ولو كان الله عز وجل قائلاً للقول ﴿ كن ﴾ لكان للقول قولاً ، وهذا يوجب أحد أمرين :

إما أن يؤول الأمر الى أن قول الله غير مخلوق .

أو يكون كل قول واقع بقول لا إلى غاية ، وذلك محال ، وإذا استحال ذلك صح وثبت أن لله عز وجل قولاً غير مخلوق .

١٩ ـ سؤال

فإن قال قائل : معنى قول الله ﴿ أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونَ ﴾ إنما بكونه فيكون :

قيل : الظاهر أنْ يقول له ، ولا يجوز أن يكون قول الله للأشياء كلها كوني هو الأشياء ، لأن هذا يوجب أن تكون الأشياء كلها كلام الله عز وجل ، ومن قال ذلك فقد أعظم الفرية ، لأنه يلزمه أن يكون كل شيء في العالم من إنسان وفرس وحمار وغير ذلك كلام الله ، وفي هذا ما فيه . فلما استحال ذلك صح أن قول الله للأشياء كوني غيرها ، وإذا كان غير المخلوقات فقد خرج كلام الله عزّ وجَلّ عن أن يكون مخلوقاً ، ويلزم من أثبتَ كلام الله مخلوقاً أن يثبت أن الله غير متكلم ولا قائل ، وذلك فاسد ، كما يفسد أن يكون علم الله مخلوقاً وأن يكون الله غير عالم ، فلما كان الله عزّ وجل لم يزل عالماً ، لم يجز أن يكون بخلاف العلم موصوفاً، استحال أن يكون لم يزل بخلاف الكلام موصوفاً ، لأن

خلاف الكلام الذي لا يكونُ معه كلامٌ [هو] سكوتٌ أو آفة ، كما أنّ خلاف العلم الذي لا يكون معه علم هو جهل ، أو شك ، أو آفة ، ويستحيل أن يُوصف ربنا عزّ وجلّ بخلاف العلم ، ولذلك يستحيل أن يوصف بخلاف الكلام من السكوت والآفات ، فوجب لذلك أن يكون لم يزل متكلماً ، كما وجب أن يكون لم يزل عالماً .

٢٠ ـ دليل آخر

وقال الله عز وجل : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي ﴾ [الكهف : ١٠٩] فلو كانت البحار مداداً كتبت لنفدت البحار وتكسرت الأقلام، ولم يلحق الفناءُ كلماتِ ربي،كما لا يلحق الفناء علمَ الله عز وجل، ومن فني كلامهلحقته الآفات وجرى عليه السكوت، فلما لم يجز ذلك على ربنا عزّ وجلّ صح أنه لم يزل متكلماً ، لأنه لو لم يكن متكلماً ، وجب السكوت والآفات ، تعالى ربنا عن قول الجهمية علواً كبيراً .

٢١ ـ فصل

وزعمت الجهمية كما زعمت النصارى ، لأن

النصارى ، زعمت أن كلمة الله حواها بطن مريم ، وزادت الجهمية عليهم فزعمت أن كلام الله مخلوق حل في شجرة ، وكانت الشجرة حاوية له ، فلزمهم أن تكون الشجرة بذلك الكلام متكلمةً ، ووجب عليهم أن مخلوقاً من المخلوقين كَلّم موسى صلى الله عليه وسلم ، وأن الشجرة قالت : يا موسى ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي ﴾ [طه : ١٤] فلو كان كلام الله مخلوقاً في شجرة ، لكان المخلوق قال : يا موسى : ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَاْ فَاعْبُدْنِي ﴾ وقد قال الله عز وجل ﴿ وَلَكِنْ حَقَّ القَوْلُ مِنِّي لأَمْلأَنَ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ والنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [السجدة : ١٣] . وكلام الله عز وجل من الله ، لا يجوز أن يكون كلامه الذي هو منه مخلوقاً في شجرة مخلوقة ، كما لا يجوز أن يكون علمه الذي هو منه مخلوقاً في غيره ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

٢٢ - جواب

ويقال لهم : كما لا يجوز أن يخلق الله عز وجل إرادته في بعض المخلوقات ، كذلك لا يجوز أن يخلق كلامه في بعض المخلوقات ، ولو كانت إرادة الله مخلوقة في بعض المخلوقات ،

لكان ذلك المخلوق هو المريد لها ، وذلك يستحيل ، وكذلك يستحيل أن يخلق الله كلامه في مخلوق ، لأن هذا يوجب أن ذلك المخلوق متكلم به ، ويستحيل أن يكون كلام الله عز وجل كلاماً للمخلوق .

٢٣ ـ دليل آخر

ومما يبطل قولهم أنّ الله عز وجل قال مخبراً عن المشركين أنهم قالوا : ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ﴾[المدثر : ٢٥] ، يعني القرآن ، فمن زعم أن القرآن مخلوق فقد جعله قولاً للبشر ، وهذا ما أنكره الله على المشركين ، وأيضاً فلو لم يكن الله متكلماً حتى خلق الخلق ثم تكلم بعد ذلك ، لكانت الأشياء قد كانت لا عن أمره ، ولا عن قوله ، ولم يكن قائلاً لها«كوني»، وهذا رد للقرآن والخروج عما عليه جمهور أهل الإسلام .

٢٤ ـ فصل

واعلموا ـ رحمكم الله ـ أن قول الجهمية: إن كلام الله مخلوق ، يلزمهم به أن يكون الله عز وجل لم يزل كالأصنام التي لا تنطق ولا تتكلم لو كان لم يزل غير متكلم ، لأن الله عز وجل بخبر عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنه قال لقومه لما قالوا له :

﴿ أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ* قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾ [الأنبياء : ٦٢ ـ ٦٣] فاحتج عليهم بأن الأصنام إذا لم تكن ناطقة متكلمة لم تكن آلهة ، وأن الإله لا يكون غير ناطق ولا متكلم ، فلما كانت الأصنام التي لا يستحيل أن يحييها الله وينطقها لا تكون آلهة ، فكيف يجوز أن يكون من يستحيل عليه الكلام في قدمه إلهاً ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . وإذا لم يجز أن يكون الله سبحانه في قدمه بمرتبة دون مرتبة الأصنام التي لا تنطق ، فقد وجب أن يكون لم يزل متكلماً .

٢٥ ـ دليل آخر

وقد قال الله تعالى مخبراً عن نفسه أنه يقول : ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَومَ ﴾ وجاءت الرواية أنه يقول هذا القول فلا يَرُدُّ عليه أحد شيئاً فيقول : ﴿ لله الْوَاحِدِ الْقَهَّار ﴾ [غافر : ١٦][٢٠] ، فإذا كان عزّ وجلّ قائلاً مع فناء الأشياء إذ لا إنسان ولا ملك ولا حي ولا جان ولا شجر ولا مدر ، فقد صح أن كلام الله عز وجل خارج

---

(٢٠) هو جزء من حديث الصور الطويل الذي رواه عبد بن حميد ، والطبراني ، وأبو يعلى ،

عن الخلق ، لأنه يوجد ولا شيء من المخلوقات موجود .

٢٦ ـ دليل آخر

وقد قال الله عزّ وجَلّ : ﴿ وَكلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمَاً ﴾ [النساء : ١٦٤] والتكليم هو المشافهة بالكلام ، ولا يجوز أن يكون كلام المتكلم حالاً في غيره ، مخلوقاً في شيء سواه ، كما لا يجوز ذلك في العلم .

٢٧ ـ دليل آخر

وقال الله عز وجل : ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوَاً أَحَدٌ ﴾ [سورة الاخلاص] فكيف يكون القرآن مخلوقاً وأسماء الله في القرآن ، هذا يوجب أن تكون أسماء الله مخلوقة ، ولو كانت أسماؤه مخلوقة ، لكانت

= والطراني في المطولات . والبيهقي في « البعث » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . أن جميع الأحياء إذا ماتوا بعد النفخة الأولى ولم يبق إلا الله عز وجل . قال الله سبحانه وتعالى : انا الجبار . أنا الجبار . أنا الجبار . ثلاثاً . ثم يهتف بصوته ﴿لمن الملك اليوم﴾ ثلاث مرات . فلا يجيبه أحد . ثم يقول لنفسه ﴿ لله الواحد القهار﴾ وهو حديث ضعيف . وانظر « فتح الباري » ٣١٨/١١ و٣١٩ و« تفسير ابن كثير » ١٤٦/٢ و١٤٩ . وروى البخارى ومسلم في « صحيحهما » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقبض الله الأرض يوم القيامة ، ويطوي السماء بيمينه ثم يقول : أنا الملك، اين ملوك الارض» وانظر الفتح ٣١٢/١٣ .

وحدانيته مخلوقة ، وكذلك علمه ، وقدرته ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

٢٨ ـ دليل آخر

وقد قال الله تعالى:﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ﴾[الرحمن:٧٨] ولا يقال للمخلوق : تبارك ، فدل على أن أسماء الله غير مخلوقة ، وقال : ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ [الرحمن : ٢٧] فكما لا يجوز أن يكون وجه ربِّنا مخلوقاً ، فكذلك لا يجوز أن تكون أسماؤه مخلوقة .

٢٩ ـ دليل آخر

وقد قال الله عز وجل : ﴿ شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالمَلاَئِكَةُ وَأُولُوا العِلْمِ قَائِماً بالْقِسْطِ ﴾ [آل عمران : ١٨] ولا بد أن يكون شهد بهذه الشهادة وسمعها من نفسه ، لأنه إن كان سمعها من مخلوق فليست شهادة له ، وإذا كانت شهادة له وقد شهد بها فلا يخلو أن يكون شهد بها قبل كون المخلوقات ، أو بعد كون المخلوقات ، فإن كان شهد بها بعد كون المخلوقات فلم تسبق شهادته لنفسه بإلهية الخلق وكيف يكون ذلك كذلك ؟ وهذا يوجب أن التوحيد لم يكن يشهد به شاهد قبل الخلق ،

ولو استحالت الشهادة بالوحدانية قبل كون الخلق لاستحال إثبات التوحيد ووجوده ، وأن يكون واحداً قبل الخلق ، لأن ما تستحيل الشهادة عليه مستحيل ، وإن كانت شهادته لنفسه بالتوحيد قبل الخلق ، فقد بطل أن يكون كلام الله عز وجل مخلوقاً لأن كلامه شهادته .

٣٠ ـ دليل آخر

ومما يدل على بطلان قول الجهمية ، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق : أن أسماء الله من القرآن ، وقد قال عز وجل : ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى * الذي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴾ [الأعلىٰ : ١ ـ ٢] ولا يجوز أن يكون اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى مخلوقاً ، كما لا يجوز أن يكون جَدُّ رَبِّنا مخلوقاً ، قال الله تعالى في سورة الجن : ﴿ جَدُّ رَبِّنَا ﴾ [الجن : ٣] وكما لا يجوز أن تكون عظمته مخلوقة ، كذلك لا يجوز أن يكون كلامه مخلوقاً .

٣١ ـ دليل آخر

وقد قال الله عز وجل : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْيَاً أو مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ﴾ [الشورى : ٥١] فلو كان كلام الله لا يوجد إلا مخلوقاً في شيء

مخلوق لم يكن لاشتراط هذه الوجوه معنى ، لأن الكلام قد سمعه جميع الخلق ووجدوه بزعم الجهمية مخلوقاً في غير الله عز وجل

وهـذا يوجب إيقـاط مرتبة النبييـن صلوات الله وسلامـه عليهم ، ويجب عليهم إذا زعموا أن كلام الله لموسى خلقه في شجرة ، أن يكون من سمع كلام الله عز وجل من مَلَك أو نبي أتى به من عند الله ، أفضل مرتبة من سماع الكلام من موسى ، لأنهم سمعوه من نبي ولم يسمعه موسى من الله عز وجل ، وإنما سمع من شجرةوإن يزعمواأن اليهودي اذا سمع كلامَ الله من النبي عليه الصلاة والسلام أفضل مرتبـة فى هذا المعنـى من موسى بـن عمران ، لأن اليهودي سمعه من نبي من أنبياء الله ، وموسى سمعه مخلوقاً في شجرة ، ولو كان مخلوقاً في شجرة لم يكن مُكَلِّماً لموسى من وراء حجاب ، لأن مَنْ حضـر الشجـرة من الجـن والانس قد سمعوا الكلام من ذلك المكان ، وكان سبيل موسى وغيره فى ذلك سواء فى انه ليس كلام الله له من وراء حجاب .

٣٢ ـ جواب

ثم يقال لهم : إذا زعمتم أن معنى أن الله عز وجل كَلّـم موسى أنه خلق كلاماً كَلّمه به ، في الشجرة ، وقـد خلـق الله

عـندكم في الـذراع كلاماً ، لأن الـذراع قـالت لرسول الله ﷺ لا تأكلني فاني مسمومة[٢١]. فلزمكم أن ذلك الكلام الذي سمعه النبي صلى الله عليه وسلم كلام الله عز وجل،فإن استحال ان يكون الله تكلم بذلك الكلام المخلوق فما أنكرتم منْ أنه مستحيل ان يخلق الله عز وجل كلامه في شجرة ، لأن كلام المخلوق لا يكون كلاماً ، فإن كان كلام الله ، وكان معنى أن الله تكلم عندكم أنه خلق الكلام ، فيلزمكم أن يكون الله متكلماً بالكلام الذي خلقه في الذراع . فإن اجابوا إلى ذلك قيل لهم : فالله عز وجل على قولكم هو القائل « لا تأكلني فإني مسمومة[٢١]» ، تعالى الله عن قولكم وافترائكم عليه علواً كبيرا .

وإن قالوا : لا يجوز أن يكون كلام الله مخلوقاً في ذراع .

قيل لهم : وكذلك لا يجوز أن يكون كلام الله مخلوقاً في شجرة .

٣٣ ـ مسألة

ثم يسألون عن الكلام الذي أنطق الله به الذئب لما أخبر عن نبوة النبي صلى الله عليه وسلم، فيقال لهم: إذا كان الله عز وجل يتكلم بكلام يخلقه في غيره فما أنكرتم أن يكون الكلام

---

(٢١) البخاري ١٦٩/٥ في الهبة : باب قبول الهدية من المشركين . ومسلم رقم (٢١٩٠) في السلام : باب السم . وأبو داود رقم (٤٥٠٨) في الديات : فيمن سقى رجلاً سماً .

الذي سمعه من الذئب كلاماً لله ، ويكون إعجازه يدل على أنه كلام الله ، وفي هذا ما يجب عليهم أن الذئب لم يتكلم به وأنه كلام الله عز وجل ، لأن كون الكلام من الذئب معجز ، كما أن كونه من الشجرة معجز ، فإن كان الذئب متكلماً بذلك الكلام المنقول ، فما أنكرتم أن الشجرة متكلمة بالكلام إن كان خلق في شجرة ، وأن يكون المخلوق فيه قال : يَا مُوسى إني أنَاالله ، تعالى عن ذلك علواً كبيراً .

٣٤ ـ جواب

ثم يقال لهم : إذا كان كلام الله عز وجل مخلوقاً في غيره عندكم ، فما يؤمنكم أن يكون كل كلام تسمعونه مخلوقاً في شيء ، وهو حق بأن يكون كلام الله عز وجل ؟

فإن قالوا : لا تكون الشجرة متكلمة ، لأن المتكلم لا يكون إلا حياً ،

قيل لهم : ولا يجوز خلق الكلام في شجرة ، لأن من خلق الكلام فيه لا يكون إلا حياً ، فإن جاز أن يخلق الكلام فيما ليس بحي ، فلم لا يجوز أن يتكلم من ليس بحي ؟

ويقال لهم: ألا قلتم: إنه يقول من ليس بحي، لأنه عز وجل

أخبر أن السموات والأرض ﴿ قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ [فصلت:١١].

٣٥ ـ جواب

ثم يقال لهم : أليس قد قال الله عز وجل لابليس ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [ص : ٧٨] فلا بد من نعم ، ويقال لهم : فإذا كان كلام الله مخلوقاً وكانت المخلوقات فانيات فيلزمكم إذا أفنى الله عز وجل الأشياء أن تكون اللعنة على ابليس قد فنيت ، فيكون إبليس غير ملعون ، وهذا تَرْكٌ لدين المسلمين وردٌ لقول الله عز وجل : ﴿وَانَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي الَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ وإذا كانت اللعنة باقية على إبليس إلى يوم الدين ـ وهو يوم الجزاء ، وهو يوم القيامة ـ لأن الله عز وجل قال : ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [الفاتحة ٤] يعني يوم الجزاء ، ثم هي أبداً في النار ، واللعنة كلام الله، وهو قوله : ﴿ عَلَيْكَ لَعْنَتِي ﴾ فقد وجب أن يكون كلام الله عز وجل لا يجوز عليه الفناء ، وأنه غير مخلوق ، لأن المخلوقات يجوز عليها العدم ، فإذا لم يجز ذلك على كلام الله عز وجل ، فهو غير مخلوق .

٣٦ ـ الرد على الجهمية

ثم يقال لهم : إذا كان غضب الله غير مخلوق ، وكذلك رضاه وسخطه ، فلم لا قلتم :إن كلامه غير مخلوق ؟ ومن زعم أن غضب

الله مخلوق لزمه أن غضب الله وسخطه على الكافرين يفنى ، وأن رضاه عن الملائكة والنبيين يفنى حتى لا يكون راضياً عن أوليائه ولا ساخطاً على أعدائه ، وهذا هو الخروج عن الاسلام .

ويقال : خبرونا عن قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [النحل : ٤٠] أتزعمون أن قوله للشيء:«كن»مخلوق مراد لله؟فان قالوا: لا .

قيل لهم : فما أنكرتم أن يكون كلام الله الذي هو القرآن غير مخلوق ، كما زعمتم أن قول الله للشيء «كن»غير مخلوق .

وإن زعموا أن قول الله للشيء«كن» مخلوق .

قيل لهم:فإن زعمتم أنه مخلوق مراد فقد قال الله عز وجل: ﴿ انَّمَا قَوْلُنَا لِشَيءٍ اذَا أَردنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونَ﴾ . فيلزمكم أن قوله للشيء « كن » قد قال له : « كن » ، وفي هذا ما يوجب أحد أمرين :

إما أن يكون قول الله لغيره«كن»غير مخلوق .

أو يكون لكل قول قول لا إلى غاية ، وذلك محال .

فإن قالوا : إن لله قولاً غير مخلوق .

قيل لهم : فلم أنكرتم أن تكون إرادة الله للإيمان غير مخلوقة ؟ .

ثم يقال لهم : ما العلة لما قلتم:إن قول الله للشيء«كن»غير مخلوق ؟

فإن قالوا : لأن القول لا يقال له «كن» فيقال لهم : والقرآن غير مخلوق ، لأنه قول الله ، والله لا يقول لقوله «كن» .

٣٧ ـ الرد على الجهمية

ويقال لهم : أليس لم يزل الله عالماً بأوليائه وأعدائه ؟ فلا بد من نعم .

قيل لهم : فهل تقولون: إنه لم يزل مريداً للتفرقة بين أوليائه وأعدائه ؟

فإن قالوا : نعم ، قيل لهم: فإذا كانت إرادة الله لم تزل فهي غير مخلوقة ، وإذا كانت إرادته غير مخلوقة فلم لا قلتم:إن كلامه غير مخلوق ؟

فإن قالوا : لا نقول لم يزل مريداً للتفريق بين أوليائه وأعدائه ، فقد زعموا أن الله لا يريد التفريق بين أوليائه وأعدائه ،

ونسبوه سبحانه إلى النقص ، تعالى الله عن قول القدرية علواً كبيراً .

٣٨ - جواب

ويقال لهم : إن الشيء المخلوق إما أن يكون بدناً من الأبدان شخصاً من الأشخاص ، أو يكون نعتاً من نعوت الأشخاص ، فلا يجوز أن يكون كلام الله شخصاً ، لأن الأشخاص يجوز عليها الأكل والشرب والنكاح ، ولا يجوز ذلك على كلام الله عز وجل ، ولا يجوز أن يكون كلام الله نعتاً لشخص مخلوق لأن النعوت لا تبقى طرفة عين ، لأنها لا تحتمل البقاء ، وهذا يوجب أن يكون كلام الله قد فني ومضى ، فلما لم يجز أن يكون شخصاً ولا نعتاً لشخص،لم يجز أن يكون مخلوقاً ، على أن الأشخاص يجوز أن تموت ، فمن أثبت كلام الله شخصاً مخلوقاً لزمه أن يجوز الموت على كلام الله عزّ وجلّ ، وذلك مما لا يجوز . وأيضاً فلا يجوز أن يكون كلام الله مخلوقاً في شخص مخلوق ، كما لا يجوز أن يكون نعتاً لشخص مخلوق ، ولو كان مخلوقاً في شخص ، ككلام الإنسان مفعولاً فيه ، كان لا يمكن التفريق بين كلام الله وكلام المخلوق إذا كانا مخلوقين في شخص

مخلوق ، كما لا يجوز أن يكون علمه مخلوقاً في شخص مخلوق .

٣٩ ـ جواب

ويقال لهم أيضاً : لو كان كلام الله مخلوقاً لكان جسماً أو نعتاً لجسم ، ولو كان جسماً لجاز أن يكون متكلماً ، والله قادر على قلبهما ، وفي هذا مايلزمهم،ويجب عليهم أن يجوزوا أن يقلب الله القرآن إنساناً أو جنياً أوشيطاناً، تعالى الله عز وجل أن يكون كلامه كذلك، ولو كان نعتاً لجسم كالنعوت ، فالله قادر أن يجعلها أجساماً ، فكان يجب على الجهمية أن يجوزوا أن يجعل الله القرآن جسماً متجسداً يأكل ويشرب ، وأن يجعله إنساناً ويميته ، وهذا ما لا يجوز على كلامه عز وجل .

الباب الخامس
ما ذكر من الرواية في القرآن

قال : أبو بكر : أتيت أنا والعباس بن عبد العظيم العنبري أبا عبد الله أحمد بن حنبل ، فسأل العباس بن عبد العظيم أبا عبد الله رحمه الله تعالى ، فقال له : قومٌ ها هنا قد حدّثوا يقولون : القرآن لا مخلوق ولا غير مخلوق .

فقال : هؤلاء أضر من الجهمية على الناس ، ويلكم فإن لم تقولوا : ليس بمخلوق، فقولوا : مخلوق .

قال أبو عبد الله : هؤلاء قوم سوء .

فقال العباس : ما تقول يا أبا عبد الله !

فقال : الذي أعتقد وأذهب إليه ، ولا أشك فيه أن القرآن غير مخلوق ، ثم قال : سبحان الله ومن شك في هذا ؟ . ثم تكلم أبو عبد الله مستعظماً للشك في ذلك، فقال: سبحان الله أفي هذا شك ؟ قال الله تبارك وتعالى : ﴿ أَلاَ لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ ﴾ [الأعراف : ٥٤] وقال تعالى ﴿ الرَّحْمٰنُ * عَلَّمَ القُرْآنَ * خَلَقَ

الإنْسَانَ ﴾ [الرحمن : ١ ـ ٣] ففرق بين الانسان وبين القرآن ، فقال : عَلَّمَ ، خلق ، فجعل يعيدها ، عَلَّمَ ، خَلَقَ ، أي فَرَّقَ بينهما .

قال أبو عبدالله : القرآن من علم الله ، ألا تراه يقول : ﴿ عَلَّمَ القُرآنَ ﴾ والقرآن فيه أسماء الله عز وجل ، أي شيء يقولون ؟ ألا يقولون: إن أسماء الله غير مخلوقة ، لم يزل الله قديراً علياً عزيزاً حكياً سميعاً بصيراً، لسنا نشك أن أسماء الله عز وجل غير مخلوقة ، لسنا نشك أن علم الله غير مخلوق ، فالقرآن من علم الله وفيه أسماء الله ، فلا نشك أنه غير مخلوق ، وهو كلام الله عز وجل ، ولم يزل الله به متكلماً .

ثم قال : وأي كفر أكفر من هذا ؟ أو أي كفر أشرُّ من هذا؟ إذا زعموا أن القرآن مخلوق فقد زعموا أن أسماء الله مخلوقة ، وأن علم الله مخلوق، ولكن الناس يتهاونون بهذا ويقولون : إنما يقولون القرآن مخلوق ويتهاونون ويظنون أنه هين ، ولا يدرون ما فيه وهو الكفر ، وأنا أكره أن أبوح بهذا لكل أحد ، وهم يسألون ، وأنا أكره الكلام في هذا ، فبلغني أنهم يدّعون أني أمسك .

فقلت له : فمن قال : القرآن مخلوق ، ولا يقول: إن أسماء

الله مخلوقة ولا علمه،ولم يزد على هذا ، أقول : هو كافر ؟ فقال : هكذا هو عندنا . ثم قال أبو عبد الله : نحن لا نحتاج أن نشك في هذا القرآن عندنا ، فيه أسماء الله وهو من علم الله ، فمن قال لنا : إنه مخلوق ، فهو عندنا كافر ، فجعلت أُردِّدُ عليه ، فقال لي العباس ـ وهو يسمع ـ : سبحان الله أما يكفيك دون هذا ؟ فقال أبو عبد الله : بلى .

وذكر الحسين بن عبد الأول ، قال : سمعت وكيعاً يقول : من قال: القرآن مخلوق،فهو مرتد يستتاب ، فإن تاب، وإلا قتل .

وذكر محمد بن الصباح البزّار ، قال: حدثنا علي بن الحسين بن شعبان ، قال : سمعت ابن المبارك يقول : إنا نستطيع أن نحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية . قال محمد : يقول: نخاف أن نكفر ولا نعلم .

وذكر هارون بن إسحاق الهمداني عن أبي نُعَيْم ، عن سليمان بن عيسى القاري ، عن سفيان الثوري ، قال لي حماد بن أبي سليمان : بلِّغ أبا حنيفة المشرك أني منه بريء، قال سليمان : ثم قال سفيان لأنه كان يقول القرآن مخلوق .

وذكر سفيان بن وكيع قال : سمعت عمر بن حماد بن

أبي حنيفة ، قال : أخبرني أبي قال : الكلام الذى استتاب منه ابن أبي ليلى أبا حنيفة هو قوله : القرآن مخلوق ، قال : فتاب منه وطاف به في الخلق ، قال أبي : فقلت له : كيف صرت إلى هذا ، قال : خفت والله أن يقدم عليَّ فأعطيته التقية .

وذكر هارون بن إسحاق ، قال : سمعت إسماعيل بن أبي الحكم يذكر عن عمر بن عبيد الطنافسي : أن حماداً ـ يعني ابن أبي سليمان ـ بعث إلى أبي حنيفة: إني بريء مما تقول إلا أن تتوب ، وكان عنده ابن أبي عنبة، قال : فقال : أخْبَرَني جارك أن أبا حنيفة دعاه إلى ما استتيب منه بعدما استتيب .

وذُكر عن أبي يوسف ، قال : ناظرت أبا حنيفة شهرين حتى رجع عن خلق القرآن .(٢٢)

---

(٢٢) ما جاء عن أبي حنيفة هنا من الروايات التي تزعم أنه كان يقول بخلق القرآن تناقض ما رواه الطحاوي في كتابه الشهير « بيان السنة والجماعة » المشهور بـ « العقيدة الطحاوية » والذي بين فيه معتقد أبي حنيفة وصاحبيه . والطحاوي أوثق رواية وأدرى بمعتقد أصحابه (أبي حنيفة وصاحبيه) من الأشعري. ونخلص من هذا الى اننا لا نعتمد هذه الروايات التي ساقها ابو الحسن الاشعري بل نعول على ما هو أصح منها وأوثق . وهو ما جاء به الامام المحدث الحافظ أبو جعفر الطحاوي الحنفي حيث قال : وأن القرآن كلام الله منه بدأ بلا كيفية . قولاً أنزله على رسوله وحياً . وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً . وأيقنوا أنه كلام الله تعالى حقيقة وليس بمخلوق ككلام البرية .

انظر : « شرح العقيدة الطحاوية ص : بتحقيق الاستاذ شعيب الأرناؤوط . وهو من منشورات مكتبة دار البيان بدمشق .

وقال سليمان بن حرب : القرآن غير مخلوق ، وأخذته من كتاب الله تعالى ، قال الله عز وجل : ﴿ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ﴾ [آل عمران : ٧٧] وكلام الله ونظره واحد يعني غير مخلوق .

وذكر الحسين بن عبد الأول ، قال : حدثنا محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني عن عمرو بن قيس الملائي ، عن عطية ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فضل كلام الله عزوجل على سائر الكلام كفضل الله على خلقه »[٢٣] فهذا يثبت أن القرآن كلام الله عز وجل ، وما كان كلاماً لله لم يكن خلقاً لله . وقد بيّن الله أن القرآن كلامه بقوله عز وجل : ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ الله ﴾ [التوبة : ٦] ودل على ذلك في مواضع من كتابه ،

---

٢٣) جزء من حديث قدسي طويل أوله : « يقول الرب عز وجل : من شغله القرآن وذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين ، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه». رواه الترمذي (٢٩٢٧) في ثواب القرآن: باب رقم ٢٥. وأخرجه أيضا الدارمي والبيهقي في «شعب الايمان». قال الحافظ في «الفتح»: ورجاله ثقات إلا عطية العوفي ففيه ضعف . وأخرجه ابن عدى من رواية شهر بن حوشب عن أبي هريرة مرفوعاً «فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه» وفي إسناده عمر بن سعيد الابح وهو ضعيف وفي فيض القدير : الاشج، وهو تحريف .

وأخرجه ابن الضريس مرة مرسلاً عن شهر بن حوشب ، ومرة مرفوعاً عن عثمان ، وخرجه ابن حميد في « مسنده » من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وفيه صفوان بن أبي الصهب مختلف فيه . انظر « فيض القدير » ٤/٤٣٤ و٤٣٥ .

وقد قال الله عز وجل مخبراً أن الله كلم موسى تكليماً.

وروى وكيع عن الأعمش ، عن خيثمة ، عن عدي بن حاتم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ، ليس بينه وبينه ترجمان »[٢٤] .

ومما يبين أن الله عز وجل متكلم ، وأن له كلاماً ، ما رواه عفان ، قال : حدثنا حماد بن سلمة : عن الأشعث الحُدَّاني عن شهر بن حوشب ، قال : « فضل كلام الله عز وجل على سائر الكلام كفضل الله على خلقه »[٢٥].

وروى يعلى بن المنهال السعدي ، قال اسحاق بن سلمان الرازي : قال الجراح بن الضحاك الكندي ، عن علقمة بن مرثد ، عن أبي عبد الرحمن السلمي ، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «

---

(٢٤) رواه البخاري ٣٥٠/١١ ـ ٣٥١ في الرقاق : باب من نوقش الحساب عذب و٣٦٢/١٣ في التوحيد : باب قوله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ و٣٩٧/١٣ : باب : كلام الرب تعالى يوم القيامة مع الأنبياء ، ومسلم (١٠١٦) و ٦٧) في الزكاة : باب الحث على الصدقة ولو بشق ثمرة، والترمذي رقم (٢٤١٧) في صفة القيامة باب رقم (١) وابن ماجه رقم (١٨٥) في المقدمة باب فيما انكرت الجهمية ورقم (١٨٤٣) في الزكاة: باب فضل الصدقة.

(٢٥) روراه أيضا الدارمي ٤٤١/٢ وفيه ضعف وانقطاع . ورواه أبو يعلي في « معجمه » والبيهقي في « شعب الايمان » عن أبي هريرة رضي الله عنه . وإسناده ضعيف .

أفضلكم من تَعَلَّمَ القرآن وَعَلَّمه »[٢٦] . وقال : « إن فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه »[١] وذلك أنه منه .

وذكر سنيد بن داود ، قال أبو سفيان عن معمر عن قتادة قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ الله ﴾ الآية[لقمان:٢٧].

وذكر هارون بن معروف ، قال : حدثنا جرير بن منصور ، عن هلال بن يساف ، عن فروة بن نوفل ، قال : كنت جاراً لخباب بن الأرت ، فقال لي : يا هذا تقرب إلى الله عز وجل بما استطعت فانك لن تتقرب إلى الله بشيء أحب اليه من كلامه .

وروي عن ابن عباس في قوله عز وجل : ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ ﴾ [الزمر : ٢٨] قال : غير مخلوق .

وذكر الليث بن يحيى ، قال : حدثني إبراهيم بن أبي الأشعث ، قال : سمعت مؤمل بن إسماعيل عن الثوري ، قال :

---

(٢٦) البخاري ٦٦/٩ ـ ٦٨ في فضائل القرآن : باب خيركم من تعلم القرآن ورواه أيضاً وأبو داود رقم (١٤٥٢) في الصلاة: باب في ثواب قراءة القرآن، والترمذي رقم (٢٩٠٩) في ثواب القرآن : باب ما جاء في تعليم القرآن . وابن ماجه رقم (٢١١) في المقدمة : باب فضل من تعلم القرآن وعلمه .

(١) تقدم تخريجه ص ٧٤ تعليق رقم ٢٥ .

من زعم أن القرآن مخلوق فقد كفر. وصحت الرواية عن جعفر بن محمد أن القرآن لا خالق ولا مخلوق.

وروي ذلك عن عمه زيد بن علي وعن جده علي بن الحسين.

ومن قال إن القرآن غير مخلوق وإن من قال بخلقه كافر - من العلماء وحملة الآثار ونقلة الأخبار - لا يحصون كثرة منهم الحمادان، والثوري، وعبد العزيز بن أبي سلمة، ومالك بن أنس، والشافعي وأصحابه، والليث بن سعد، وسفيان بن عيينة، وهشام، وعيسى بن يونس، وحفص بن غياث، وسعد بن عامر، وعبد الرحمن بن مهدي، وأبو بكر بن عياش، ووكيع، وأبو عاصم النبيل، ويعلى بن عبيد، ومحمد بن يوسف، وبشر بن المفضل، وعبد الله بن داود، وسلام بن أبي مطيع، وابن المبارك، وعلي بن عاصم، وأحمد بن يونس وأبو نعيم، وقبيصة بن عقبة، وسليمان بن داود، وأبو عبيد القاسم بن سلام، ويزيد بن هارون، وغيرهم، ولو تتبعنا ذكر من يقول بذلك لطال

الكلام بذكرهم ، وفيما ذكرنا من ذلك مقنع ، والحمد لله رب العالمين .

وقد احتججنا لصحة قولنا: إن القرآن غير مخلوق من كتاب الله عز وجل ، وما تضمنه من البرهان وأوضحه من البيان ، ولم نجد أحداً ممن تُحْمَل عنه الآثار ، وتُنْقَل عنه الأخبار ، ويأتم به المؤتمون من أهل العلم ، يقول بخلق القرآن ، وإنما قال ذلك رعاع الناس وجهّال من جُهَّالهم ، لا موقع لقولهم ، والحِجَاجُ الذي قدمناه في ذلك يأتي على كثير من قولهم ودفع باطلهم ، والحمد لله على قوة الحق حمداً كثيراً .

* * *

الباب السادس

الكلام على من وقف في القرآن وقال: لا أقول إنه مخلوق ولا أقول إنه غير مخلوق

٤٠ ـ جواب

يقال لهم : لم زعمتم ذلك وقلتموه ؟ فإن قالوا قلنا ذلك لأن الله لم يقل في كتابه:انه مخلوق،ولا قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم،ولا أجمع عليه المسلمون ، ولم يقل في كتابه إنه غير مخلوق ، ولا قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم،ولا أجمع عليه المسلمون ، فوقفنا لذلك ، ولم نقل إنه مخلوق ولا إنه غير مخلوق .

يقال لهم : فهل قال الله عز وجل لكم في كتابه قفوا فيه ولا تقولوا إنه غير مخلوق، وقال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم توقفوا عن أن تقولوا إنه غير مخلوق . وهل أجمع المسلمون على التوقف عن القول إنه غير مخلوق ؟

فإن قالوا : نعم بهتوا .

وإن قالوا : لا ، قيل لهم فلا تقفوا عن أن تقولوا غير مخلوق

بمثل الحجة التي بها ألزمتم أنفسكم التوقف .

ثم يقال لهم : ولم أبيتم أن يكون في كتاب الله ما يدل على أن القرآن غير مخلوق ؟ فإن قالوا لم نجده ، قيل لهم : ولم زعمتم أنكم اذا لم تجدوه في القرآن فليس موجوداً فيه ؟ ثم إنا نوجدهم ذلك ، ونتلوا عليهم الآيات التي احتججنا بها في كتابنا هذا ، واستدللنا على أن القرآن غير مخلوق ، كقوله عز وجل : ﴿ ألا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ ﴾ [الأعراف : ٥٤] وكقوله ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونَ ﴾[النحل:٤٠] وكقوله : ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي﴾ [الكهف: ١٠٩] وسائر ما احتجنا في ذلك من آى القرآن .

ويقال لهم : يلزمكم أن تقفوا في كل ما اختلف الناس فيه ، ولا تقدموا في ذلك على قول . فإن جاز لكم أن تقولوا ببعض تأويل المسلمين إذا دل على صحتها دليل ، فلم لا تقولون إن القرآن غير مخلوق بالحجج التي ذكرناها في كتابنا هذا قبل هذا الموضع ؟

٤١ ـ مسألة

فإن قال قائل : حدِّثونا، أتقولـون إن كلام الله في اللـوح المحفوظ ؟

قيل له : كذلك نقول لأن الله عز وجل ، قال : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ [البـروج : ٢١ ـ ٢٢] فالقرآن في اللوح المحفوظ ، وهو في صدور الذين أُوتوا العلم ، قال الله عز وجل : ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ في صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ [العنكبـوت : ٤٩] وهـو متلـوٌّ بالألسنـة ، قال الله تعالى : ﴿ لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ ﴾ [القيامـة : ١٦] والقـرآن مكتوب في مصاحفنا في الحقيقـة ؛ محفـوظٌ في صدورنـا في الحقيقة ؛ متلوٌّ بألسنتنا في الحقيقة ؛ مسموعٌ لنا في الحقيقة ؛ كما قال عز وجل: ﴿ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ الله ﴾ [التوبة: ٦] .

٤٢ ـ مسألة

فإن قال : حدِّثونا عن اللفظ بالقرآن كيف تقولون فيه ؟

قيل له : القرآن يقرأ في الحقيقة ويتلى ، ولا يجوز أن يقال يلفظ به ، لأن القائل لا يجوز له أن يقول إنه كلام ملفوظ به ، لأن

العرب إذا قال قائلهم : لفظت باللقمة من فمي،معناه :رميت بها، وكلام الله عز وجل لا يقال يلفظ به ، وإنما يقال : يقرأ ويتلى ويكتب ويحفظ ، وإنما قال قوم : لفظنا بالقرآن ليُثبتوا أنه مخلوق ، ويزينوا بدعتهم . وقولهم بخلقه ، فدلسوا كفرهم على من لم يقف على معناهم ، فلما وقفنا على معناهم أنكرنا قولهم ، ولا يجوز أن يقال : إن شيئاً من القرآن مخلوق ، لأن القرآن بكامله غير مخلوق .

٤٣ - مسألة

إن قال قائل : أليس قد قال الله تعالى : ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَبِّهِم مُّحْدَثٍ إلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء:٢]

قيل له : الذكر الذي عناه الله عز وجل ليس هو القرآن بل هو كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ووعظه إياهم ، وقد قال الله تعالى لنبيه : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات : ٥٥] وقد قال الله تعالى : ﴿ قَدْ أَنْزَلَ الله إِلَيْكُمْ ذِكْرَاً * رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ الله مُبَيِّنَاتٍ ... ﴾ . [الطلاق : ١٠ ـ ١١] فسمى الرسول ذكراً ، والرسول محدث . وأيضاً فإن الله عز وجل قال : ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إلا

اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢] يخبر أنهم لا يأتيهم ذكر محدث إلا استمعوه وهم يلعبون ، ولم يقل: لا يأتيهم ذكر إلا كان محدثاً واذا لم يقل هذا لم يوجب أن يكون القرآن محدثاً . ولو قال قائل : ما يأتيهم رجل من التميميين يدعوهم الى الحق إلا أعرضوا عنه ، لم يوجب هذا القول أنه لا يأتيهم رجل إلا كان تميمياً فكذلك القول فيما سألونا عنه .

٤٤ ـ مسألة

وإن سألونا عن قول الله عز وجل : ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ [الزمر : ٢٨] قيل لهم : الله عز وجل أنزله وليس مخلوقاً . فان قالوا : فقد قال الله عز وجل : ﴿ وَأَنْزَلْنَا الحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾ [الحديد : ٢٥] والحديد مخلوق . قيل لهم : الحديد جسم موات ، وليس يجب إذا كان القرآن منزلاً ، أن يكون جسماً مواتاً ، ولذلك لا يجب إذا كان القرآن منزلاً أن يكون مخلوقاً ، وان كان الحديد مخلوقاً .

٤٥ ـ جواب

ويقال لهم : قد أمرنا الله عز وجل أن نستعيذ به وهو غير

مخلوق ، وأمر أن نستعيذ بكلمات الله التامات ، وإذا لم نؤمر أن نستعيذ بمخلوق من المخلوقات ، وأمرنا أن نستعيذ بكلام الله فقد وجب أن كلام الله غير مخلوق .

* * *

الباب السابع
ذكر الاستواء على العرش.

- ٤٦ -

إن قال قائل : ما تقولون في الاستواء ؟

قيل له : نقول إن الله عز وجل يستوي على عرشه كما قال: يليق به من غير طول الاستقرار ، كما قال : ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥] وقد قال الله عز وجل : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾ [فاطر : ١٠] وقال : ﴿ بَلْ رَفَعَهُ الله إِلَيْهِ ﴾ [النساء : ١٥٨] وقال عز وجل : ﴿ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَىٰ الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ﴾ [السجدة : ٥] . وقال حكاية عن فرعون : ﴿ يَا هَامَانُ ابْن لي صَرْحاً لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمٰوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِباً ﴾ [غافر : ٣٦ ـ ٣٧] فكذب فرعون نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام في قوله ان الله عز وجل فوق السموات ، وقال عز وجل : ﴿ أَأَمِنْتُم مَّنْ في السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكم الأَرْضَ ﴾ [الملك : ١٦] . فالسموات فوقها العرش ، فلما

كان العرش فوق السموات ، قال : أأمنتم من في السماء ، لأنه مستو على العرش الذي فوق السموات ، وكل ما علا فهو سماءٌ ، فالعرش أعلى السموات ، وليس إذا قال : أأمنتم من في السماء - يعني جميع السموات - وإنما أراد العرش الذي هو أعلى السموات ، ألا ترى أن الله عز وجل ذكر السموات ، فقال : ﴿ وَجَعَلَ القَمَرَ فِيهِنَّ نُورَاً ﴾ [نوح : ١٦] ولم يرد أن القمر يملأهن جميعاً ، وأنه فيهن جميعاً ، ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء ، لأن الله عز وجل مستو على على العرش الذي هو فوق السموات فلولا أن الله عز وجل على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش ، كما لا يحطونها إذا دعوا إلى الأرض .

٤٧ - سؤال

وقد قال قائلون - من المعتزلة والجهمية والحرورية - إن قول الله عز وجل : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥] أنه استولى وملك وقهر ، وأن الله عز وجل في كل مكان ، وجحدوا أن يكون الله عز وجل على عرشه - كما قال أهل الحق - وذهبوا في الاستواء إلى القدرة .

ولو كان هذا كما ذكروه كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة ، فالله سبحانه قادر عليها وعلى الحشوش ، وعلى كل ما في العالم ، فلو كان الله مستوياً على العرش بمعنى الاستيلاء ،

وهو عز وجل مستوٍ على الأشياء كلها ، لكان مستوياً على العرش وعلى الأرض وعلى السماء وعلى الحشوش والأقذار ، لأنه قادر على الأشياء مستولٍ عليها ، وإذا كان قادراً على الأشياء كلها ولم يجز عند أحد المسلمين أن يقول: إن الله عز وجل مستو على الحشوش والأخلية ، لم يجز أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء الذي هو عام في الأشياء كلها ، ووجب أن يكون معناه استواءً يختص العرش دون الأشياء كلها .

وزعمت المعتزلة والحرورية والجهمية أن الله عز وجل في كل مكان، فلزمهم أنه في بطن مريم وفي الحشوش والأخلية، وهذا خلاف الدين، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

٤٨ ـ جواب

ويقال لهم إذا لم يكن مستوياً على العرش بمعنى يختص العرش دون غيره ، كما قال ذلك أهل العلم ونقلة الآثار وحملة الأخبار ، وكان الله عز وجل في كل مكان ، فهو تحت الأرض التي السماء فوقها ، وإذا كان تحت الأرض والأرض فوقه والسماء فوق الأرض ، ففي هذا ما يلزمكم أن تقولوا إن الله تحت التحت والأشياء فوقه ، وإنه فوق الفوق والأشياء تحته ، وفي هذا

ما يجب أن تحت ما هو فوقه وفوق ما هو تحته ، وهذا المحال المتناقض ، تعالى الله عن افترائكم عليه علواً كبيراً .

٤٩ ـ دليل آخر

ومما يؤكد أن الله عز وجل مستوٍ على عرشه دون الأشياء كلها ، ما نقله أهل الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

روى عفان عن حماد بن سلمة ، قال : حدثنا عمرو بن دينار ، عن نافع بن جبير ، عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :« ينزل الله عزوجل كل ليلة إلى السماء الدنيا ، فيقول : هل من سائل فأعطيه، هل من مستغفر فأغفر له، حتى يطلع الفجر »(٢٦) .

وروى عبد الله بن بكر ، قال : حدثنا هشام بن أبي عبد الله عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي جعفر ، أنه سمع أبا هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا بقي ثلث الليل ينزل الله تبارك وتعالى ، فيقول : من ذاالذي يدعوني فأستجيب له؟ من ذاالذي يستكشف الضرفأكشفه عنه ؟ من ذا الذي يسترزقني فأرزقه حتى ينفجر الفجر »(٢٧)

---

(٢٦) رواه أحمد في « المسند » ٨١/٤ من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح .

(٢٧) تقدم تخريجه صفحة (١٥) و(١٦) رقم (٣٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

وروى عن عبد الله بن بكر السهمي ، قال : حدثنا هشام بن أبي عبد الله ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن هلال بن أبي ميمونة ، قال : حدثنا عطاء بن يسار ، أن رفاعة الجهني حدثه ، قال : قفلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى اذا كنا بالكديد ـ أو قال بقديد ـ فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « إذا مضى ثلث الليل ـ أو قال ثلثا الليل ـ نزل الله عز وجل الى السماء ، فيقول من ذا الذي يدعوني أستجب له ؟ من ذا الذي يستغفرني أغفر له ؟ من ذا الذي يسألني أعطه ، حتى ينفجر الفجر »[٢٨] .

٥٠ ـ دليل آخر

قال الله عز وجل : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل : ٥٠] وقال : ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ [المعارج : ٤] وقال : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾ [فصلت : ١١] وقال : ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَٰنُ فَاسْأَل بِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان : ٥٩] وقال : ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا

---

(٢٨) رواه أحمد في « المسند » ١٦/٤ من حديث رفاعة الجهني رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح .

لَكُم مِّنْ دُونِهِ من وَلِيٍّ وَلاَ شَفِيعٍ ﴾ [السجدة: ٤] فكل ذلك يدل على أنه تعالى في السماء مستوٍ على عرشه، والسماء بإجماع الناس ليست الأرض، فدل على أن الله تعالى منفرد بوحدانيته مستوٍ على عرشه.

٥١ ـ دليل آخر.

وقال جل وعز: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر: ٢٢] وقال: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ ﴾ [البقرة: ٢١٠] وقال: ﴿ ثُمَّ دَنَىٰ فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ * فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ * لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾ [النجم: ٨ ـ ١٨] وقال عز وجل لعيسى بن مريم عليه السلام: ﴿ إني مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران: ٥٥] وقال ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً * بَلْ رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ ﴾ [النساء: ١٥٧ ـ ١٥٨] وأجمعت الأمة على أن الله عز وجل رفع عيسى إلى السماء، ومن دعاء أهل الاسلام جميعاً

إذا هم رغبوا إلى الله عز وجل في الأمر النازل بهم يقولون جميعاً : يا ساكن العرش ، ومن حلفهم جميعاً : لا والذي احتجب بسبع سموات .

٥٢ ـ دليل آخر

وقال الله عز وجل : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إلا وَحْيًا أو مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ﴾ [الشورى : ٥١] وقد خصت الآية البشر دون غيرهم ممن ليس من جنس البشر ، ولو كانت الآية عامة للبشر وغيرهم كان أبعد من الشبهة ، وإدخال الشك على من يسمع الآية أن يقول : ما كان لأحد أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً ، فيرتفع الشك والحيرة من أن يقول : ما كان لجنس من الأجناس أن أكلمه إلا وحياً أو من وراء حجاب أو أرسل رسولاً وننزل أجناساً لم يعمهم بالآية ، فدل ما ذكرنا على أنه خص البشر دون غيرهم .

٥٣ ـ دليل آخر

وقال عز وجل : ﴿ ثُمَ رُدُّوا إِلَىٰ اللهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ ﴾

[الأنعام : ٦٢] وقال : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إذ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِم ﴾ [الأنعام : ٣٠] وقال : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إذ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ [السجدة : ١٢] وقال عز وجل : ﴿ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا ﴾ [الكهف : ٤٨] .

كل ذلك يدل على أنه ليس في خلقه، ولا خَلْقُه فيه ، وأنه مستوٍ على عرشه بلا كيف ولا استقرار ، وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً . فلم يثبتوا له في وصفهم حقيقة ، ولا أوجبوا له بذكرهم إياه وحدانية ، إذ كل كلامهم يؤول إلى التعطيل ، وجميع أوصافهم تدل على النفي، يريدون بذلك التنزيه ونفي التشبيه ؟ فنعوذ بالله من تنزيه يوجب النفي و التعطيل .

٥٤ ـ دليل آخر

قال الله عز وجل : ﴿ اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [النور : ٣٥] فسمى نفسه نوراً ، والنور عند الأمة لا يخلو من أن يكون أحد معنيين ، إما أن يكون نوراً يسمع أو نوراً يرى ، فمن زعم أن الله يسمع ولا يرى فقد أخطأ في نفيه رؤية ربه ، وتكذيبه بكتابه ، وقول نبيه صلى الله عليه وسلم . وروت العلماء عن عبد الله بن عباس أنه قال : « تفكروا في كل شيء ، ولا

تفكروا في ذات الله تعالى ، فإن بين السماء السابعة إلى كرسيه سبعة آلاف نور ، وهو فوق ذلك »[٢٩] .

٥٥ ـ دليل آخر

وروت العلماء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «إن العبد لا تزول قدماه من بين يدي الله عز وجل حتى يسأله عن عمله»[٣٠]

وروت العلماء أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم بجارية سوداء فقال : يا رسول الله ! إني أريد أن أعتقها في كفَّارة فهل يجوز عتقها ، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم : «أين الله؟» قالت : في السماء ، قال : «فمن أنا»؟ قالت : أنت رسول الله ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم «اعتقها فإنها مؤمنة»[٣١] وهذا يدل على أن الله عز وجل على عرشه فوق السماء .

* * *

---

(٢٩) أخرجه أبو الشيخ في كتاب العظمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وهو ضعيف . وقد ثبت من حديث ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما من طرق عند الطبراني في « الاوسط » وابن عدي وأبي نعيم في « الحلية » والبيهقي في « شعب الايمان » بلفظ « تفكروا في خلق الله ، ولا تفكروا في الله » أو « تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله » .

(٣٠) أخرجه الترمذي ، رقم (٢٤١٩) في صفة القيامة : باب رقم ١ ، بلفظ : « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه ، وعن علمه فيما فعل ، وعن ماله من اين اكتسبه وفيما أنفقه ، وعن جسمه فيما أبلاه» وقال الترمذي : حديث حسن صحيح ، وهو كما قال .

(٣١) رواه مسلم رقم (٥٣٧) في الصلاة : باب تحريم الكلام في الصلاة ، وأبو داود رقم (٩٣٠) في الصلاة : باب تشميت العاطس في الصلاة ، ورقم (٣٢٨٢) في الأيمان والنذور : باب في الرقبة المؤمنة ، والنسائي ١٤/٣ ـ ١٩ في السهو : باب الكلام في الصلاة ، ومالك في « الموطأ » ٧٧٦/٢ ـ ٧٧٧ في العتق والولاء : باب ما يجوز من العتق في الرقاب الواجبة ، وأحمد في « المسند » ٢٩١/٢ ، ٤٥٢/٣ ، ٢٢٢/٤ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٤٤٧/٥ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ والدارمي في النذور : باب إذا كان على الرجل رقبة مؤمنة .

الباب الثامن
الكلام في الوجه والعينين والبصر واليدين

قال الله تبارك وتعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ﴾ [القصص : ٨٨] ، وقال عز وجل : ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن : ٢٧] ، فأخبر أن له وجهاً لا يفنى ، ولا يلحقه الهلاك .

وقال عز وجل : ﴿ تَجرِي بِأَعْيُننا ﴾ [القمر : ١٤] ، وقال : ﴿ وَاصنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾ [هود : ٣٧] . فأخبر عز وجل أن له وجهاً وعيناً لا يُكَيَّفُ ولا يُحدُّ .

وقال عز وجل : ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [الطور : ٤٨]، وقال: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩] وقال: ﴿وَكَانَ اللهُ سَمِيعَاً بَصِيراً﴾ [النساء : ١٣٤] وقال لموسى وهارون : ﴿ انَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه : ٤٦]. فأخبر عن سمعه وبصره ورؤيته .

ونفت الجهمية أن يكون لله وجه كما قال ، وأبطلوا أن يكون له سمع وبصر وعين ، ووافقوا النصارى ، لأن النصارى لم تثبت الله سميعاً بصيراً إلا على معنى أنه عالم ، وكذلك قالت الجهمية ، ففي الحقيقة قول الجهمية أنهم قالوا : نقول : إن الله عالم ولا نقول: سميع بصير على غير معنى عالم، وكذلك قول النصارى .

وقالت الجهمية : إن الله لا علم له ولا قدرة ولا سمع له ولا بصر، وإنما قصدوا إلى تعطيل التوحيد والتكذيب بأسماء الله عز وجل ، فأعطوا ذلك لَفْظاً ولم يحصلوا قولاً في المعنى ، ولولا أنهم خافوا السيف لأفصحوا بأن الله غير سميع ولا بصير ولا عالم ، ولكن خوف السيف منعهم من إظهار زندقتهم .

وزعم شيخ منهم مقدَّم فيهم أن علم الله هو الله، وأن الله عز وجل علم ، فنفى العلم من حيث أَوْهَم أنه أثبته فألزم أن يقول: يا علم اغفر لي، إذ كان علم الله عنده هو الله، وكان الله على قياسه علماً وقدرة ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

٥٦ - مسألة

فمن سألنا فقال : أتقولون إن لله سبحانه وجهاً ؟

قيل له : نقول ذلك خلافاً لما قاله المبتدعون ، وقد دل على ذلك قوله عز وجل : ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن : ٢٧] .

٥٧ ـ مسألة

فإن سئلنا أتقولون إن لله يَدَيْنِ ؟

قيل : نقول ذلك ، وقد دل عليه قوله عز وجل : ﴿ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح : ١٠] وقوله عز وجل : ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص : ٧٥] .

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خلق الله آدم بيده ، فمسح ظهره بيده فاستخرج منه ذريته »[٣٢] . فثبتت اليد ، وقوله عز وجل : ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ . وقد جاء في الخبر المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم « أن الله خلق آدم بيده ، وخلق جنة عدن بيده ، وكتب التوراة بيده ، وغرس شجرة طوبى بيده» وقال عز وجل : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾

---

(٣٢) أخرج أبو داود (٤٧٠٣) في السنة باب في القدر والترمذي رقم (٣٠٧٧) في التفسير باب ومن سورة الاعراف من حديث عمر بن الخطاب وضي الله عنه وفيه ضعف وانقطاع. قال أبو عمر بن عبد البر : ولكن معنى هذا الحديث قد صح عن النبي ﷺ من وجوه ثابتة كثيرة يطول ذكرها من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه وغيره .

[المائدة : ٦٤] ، وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كلتا يديه يمين »[٣٣] . وقال عز وجل : ﴿ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴾ [الحاقة : ٤٥] وليس يجوز في لسان العرب ولا في عادة أهل الخطاب أن يقول القائل : عملت كذا بيدي ، ويعني به النعمة ، وإذا كان الله عز وجل إنما خاطب العرب بلغتها وما يجري مفهوماً في كلامها ومعقولاً في خطابها ، وكان لا يجوز في لسان أهل البيان أن يقول القائل : فعلتُ بيدي ، ويعني النعمة ، فبطل أن يكون معنى قوله عز وجل بيدي النعمة ، وذلك أنه لا يجوز أن يقول القائل: لي عليه يد بمعنى: لي عليه نعمة ، ومن دافعنا عن استعمال اللغة ولم يرجع إلى أهل اللسانِ فيها دفع عن أن تكون اليد بمعنى النعمة ، اذ كان لا يمكنه أن يتعلق في أن اليد النعمة إلا من جهة اللغة ، فإذا دفع اللغة لزمه أن لا يفسر القرآن من جهتها ، وأن لا يثبت اليد نعمة

---

(٣٣) هو جزء من حديث رواه مسلم رقم (١٨٢٧) في الامارة : باب فضيلة الامام العادل من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، وجزء من حديث طويل رواه الترمذي رقم (٣٣٦٥) في تفسير سورة المعوذتين: باب الأمر بالكتابة والشهود. ورواه أيضاً الحاكم في «المستدرك» ٦٤/١ في الايمان، قصة خلق آدم وجعله من عمره ستين سنة لداود عليها السلام، وصححه ووافقه الذهبي، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

من قبلها ، لأنه إن رجع في تفسير قول الله عز وجل بيدي نعمتي إلى الإجماع ، فليس المسلمون على ما ادعى متفقين ، وإن رجع إلى اللغة فليس في اللغة أن يقول القائل : بيدي - يعني نعمتي ، وإن لجأ إلى وجه ثالث سألناه عنه ولن يجد إليه سبيلاً .

٥٨ - مسألة

ويقال لأهل البدع : لم زعمتم أن معنى قوله : بيدي نعمتي ، أزعمتم ذلك إجماعاً أو لغة ؟ فلا يجدون ذلك في الاجماع ولا في اللغة ،

وإن قالوا : قلنا ذلك من القياس .

قيل لهم : ومن أين وجدتم في القياس أن قول الله بيدي ولا يكون معناه إلا نعمتي ؟ ومن أين يمكن أن يعلم بالعقل أن يفسر كذا وكذا ، مع أنا رأينا الله عز وجل قد قال في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلاّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾ [ابراهيم : ٤] وقال : ﴿ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ [النحل : ١٠٣] وقال ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ [الزخرف : ٣] وقال ﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾ [محمد : ٢٤] ولو كان القرآن بلسان غير

العرب لما أمكن أن نتدبره ، ولا أن نعرف معانيه اذا سمعناه ، فلما كان من لا يحسن لسان العرب لا يحسنه ، وإنما يعرفه العرب إذا سمعوه، علم أنهم علموه لأنه بلسانهم نزل ، وليس في لسانهم ما ادعوه .

٥٩ ـ مسألة

وقد اعتل معتل بقول الله عز وجل : ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ﴾ [الذاريات : ٤٧] قالوا : الأيدي القوه ، فوجب أن يكون معنى قوله ﴿ بِيدي ﴾ بقدرتي

وقيل لهم : هذا التأويل فاسد من وجوه آخرها أن الأيدي ليس بجمع لليد ، لأن جمع يد التي هي نعمة أيادي ، وإنما قال : ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ فبطل بذلك أن يكون معنى قوله ﴿ بِيَدَيَّ ﴾ معنى قوله : ﴿ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ﴾ وأيضا فلو كان أراد القوة لكان معنى ذلك بقدرتي ، وهذا ناقض لقول مخالفنا ، وكاسر لمذاهبهم لأنهم لا يثبتون قدرة واحدة ، فكيف يثبتون قدرتين . وأيضا فلو كان الله عز وجل عنى بقوله ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ القدرة لم يكن لآدم عليه السلام على إبليس في ذلك

مزية ، والله عز وجل أراد أن يري فضل آدم عليه السلام إذ خلقه بيده دونه ، ولو كان خالقاً لإبليس بيديه كما خلق آدم عليه السلام بيديه لم يكن لتفضيله عليه بذلك وجه ، وكان إبليس يقول محتجاً على ربه فقد خلقتني بيديك كما خلقت آدم بهما ، فلما أراد الله عز وجل تفضيله عليه بذلك قال له موبِّخاً على استكباره على آدم أن يسجد له : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ ؟ ﴾ [ص : ٧٥] دل على أنه ليس معنى الآية القدرة إذا كان الله عز وجل خلق الأشياء جميعاً بقدرته ، وإنما أراد إثبات يدين ولم يشارك إبليس آدم عليه السلام في أن خُلِقَ بهما وليس يخلو قوله عز وجل : ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ أن يكون معنى ذلك : إثبات يدين نعمتين ، أو يكون معنى ذلك إثبات يدين جارحتين ، أو يكون معنى ذلك إثبات يدين قدرتين ، أو يكون معناه إثبات يدين ليستا نعمتين ولا جارحتين ولا قدرتين لا يوصفان إلا كما وصف الله عز وجل ، فلا يجوز أن يكون معنى ذلك نعمتين ، لأنه لا يجوز عند أهل اللسان أن يقول القائل: عملت بيدي وهو يعني نعمتي، ولا يجوز عندنا ولا عند خصومنا أن نعني جارحتين ، ولا يجوز عند خصومنا أن نعني قدرتين ، وإذا فسدت الأقسام الثلاثة صح القسم الرابع ، وهو أن معنى قوله ﴿بِيَدَيَّ﴾ إثبات يدين ليستا جارحتين ولا قدرتين ولا نعمتين لا يوصفان إلا بأن

يقال : إنهما يدان ليستا كالأيدي خارجتان عن سائر الوجوه الثلاثة التي سلفت .

٦٠ ـ مسألة

وأيضاً فلو كان معنى قوله عز وجل ﴿ بِيَدَيَّ ﴾ نعمتي لكان لا فضيلة لآدم عليه السلام على إبليس في ذلك على مذاهب مخالفنا ، لأن الله عز وجل قد ابتدأ إبليس على قولهم كما ابتدأ بذلك آدم عليه السلام ، وليس تخلو النعمتان أن يكونا عنى بهما بدن آدم عليه السلام أو يكونا عرضين خلقا في بدن آدم، فلو كان عنى بدن آدم فالأبدان عند مخالفنا من المعتزلة جنس واحد ، وإذا كانت الأبدان عندهم جنساً واحداً فقد حصل في جسد إبليس على مذاهبهم من النعمة ما حصل في جسد آدم عليه السلام ، وكذلك إن عنى عرضين فليس من عرض فعله في بدن آدم من لون أو حياة أو قوة أو غير ذلك إلا وقد فعل من جنسه عندهم في بدن إبليس ، وهذا يوجب أنه لا فضيلة لآدم عليه السلام على إبليس في ذلك ، وإنما احتج على إبليس بذلك ليريه أن لآدم عليه السلام في ذلك فضيلة ، فدل ما قلناه على أن الله عز وجل لما قال : ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ لم يعن نعمتي .

٦١ ـ مسألة

ويقال لهم : لم أنكرتم أن يكون الله عز وجل عنى بقوله ﴿ بِيَدَيَّ ﴾ يدين ليستا نعمتين ؟

فإن قالوا : لأن اليد إذا لم تكن نعمة لم تكن إلا جارحة .

قيل لهم : ولم قضيتم أن اليد إذا لم تكن نعمة لم تكن إلا جارحة ؟ فإن رجعونا إلى شاهدنا وإلى ما نجده فيما بيننا من الخلق ، فقالوا : اليد إذا لم تكن نعمة في الشاهد لم تكن إلا جارحة .

قيل لهم : إن عملتم على الشاهد وقضيتم به على الله عز وجل ، فكذلك لم نجد حياً من الخلق إلا جسماً لحماً ودماً فاقضوا بذلك على الله عز وجل ، وإلا كنتم لقولكم تاركين ولاعتلالكم ناقضين ، وإن أثبتم حياً لا كالأحياء منا ، فلم أنكرتم أن تكون اليدان اللتان أخبر الله عز وجل عنهما يدين ليستا نعمتين ، ولا جارحتين ، ولا كالأيدي ؟

وكذلك يقال لهم: لم تجدوا مدبِّراً حكيماً إلا إنساناً ، ثم أثبتم أن للدنيا مدبراً حكيماً ليس كالإنسان ، وخالفتم الشاهد ونقضتم

اعتلالكم ، فلا تمنعوا من إثبات يدين ليستا نعمتين ولا جارحتين من أجل أن ذلك خلاف الشاهد .

٦٢ ـ مسألة

فإن قالوا : إذا أثبتم لله يدين لقوله : ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ فلم لا أثبتم له أيدي لقوله :﴿ مِمَا عَمِلَتْ أَيْدِينا ﴾[يس :٧١]

قيل لهم : قد أجمعوا على بطلان قول من أثبت لله أيدي ، فلما أجمعوا على بطلان قول من قال ذلك وجب أن يكون الله عز وجل ذكر أيدي ، ورجع إلى اثبات يدين ، لأن الدليل قد دل على صحته الإجماع ، وإذا كان الإجماع صحيحاً وجب أن يرجع من قوله : ﴿ أَيْدٍ ﴾ إلى يدين ، لأن القرآن على ظاهره ، ولايزول عن ظاهره إلا بحجة ، فوجدنا حجة أزلنا بها ذكر الأيدي عن الظاهر إلى ظاهر ، ووجب أن يكون الظاهر الآخر على حقيقة لا يزول عنها إلا بحجة .

٦٣ ـ مسألة

فإن قال قائل : إذا ذكر الله الأيدي وأراد يدين فما أنكرتم أن يذكر الأيدي ويريد يداً واحدة .

قيل له : ذكر الله عز وجل أيدي وأراد يدين ، لأنهم أجمعوا على بطلان قول من قال : أيدي كثيرة ، وقول من قال : يداً واحدة ، فقلنا : يدان ، لأن القرآن على ظاهره ، إلا أن تقوم حجة بأن يكون على خلاف الظاهر .

٦٤ ـ مسألة

فإن قال قائل : ما أنكرتم أن يكون قوله : ﴿ ممَا عَمِلَتْ أيْدِينا ﴾ [يس : ٧١] وقوله : ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ على المجاز .

قيل له : حُكْمُ كلامِ الله عز وجل أن يكونَ على ظاهره وحقيقته ، ولا يُخْرَج الشيء عن ظاهره إلى المجاز إلا لحجة ، ألا ترون أنه اذا كان ظاهر الكلام العموم ، فإذا ورد بلفظ العموم والمراد به الخصوص ، فليس هو على حقيقة الظاهر ، وليس يجوز أن يعدل بما ظاهره العموم عن العموم بغير حجة ، كذلك قول الله عز وجل : ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ على ظاهره وحقيقته من إثبات اليدين ، ولا يجوز أن يعدل به عن ظاهر اليدين الى ما ادعاه خصومنا إلا بحجة ، ولوجاز ذلك لجاز لمدعٍ أن يدعي أن ما ظاهره العموم ، فهو على الخصوص ، وما ظاهره الخصوص فهو على العموم بغير حجة ، وإذا لم يجز هذا لمدعيه بغير برهان ، لم

يجز لكم ما ادعيتموه أنه مجاز ، أن يكون مجازاً بغير حجة ، بل واجب أن يكون قوله : ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ إثبات يدين لله تعالى في الحقيقة غير نعمتين ، إذا كانت النعمتان لا يجوز عند أهل اللسان أن يقول قائلهم : فعلت بيدي وهو يعني النعمتين .

* * *

الباب التاسع

الرد على الجهمية في نفيهم علم الله تعالى وقدرته وجميع صفاته

قال الله عز وجل : ﴿ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ ﴾ [النساء : ١٦٦] وقال: ﴿وَمَا تَحْمِلُ من أُنْثَىٰ وَلاَ تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ﴾[فاطر:١١] وذكر العلم في خمس مواضع من كتابه وقال : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ الله ﴾ [هود : ١٤] وقال ﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة:٢٥٥] وذكر القوة فقال : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوا أَنَّ الله الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾ [فصلت : ١٥] وقال : ﴿ ذُو القُوَّةِ المَتِينُ ﴾ [الذاريات : ٥٨] وقال ﴿ والسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ﴾ [الذاريات : ٤٧] .

وزعمت الجهمية أن الله عز وجل لا علم له ولا قدرة ولا حياة ولا سمع ولا بصر له، وأرادوا أن ينفوا أن الله عالم قادر حي سميع بصير ، فمنعهم خوف السيف من إظهارهم نفي ذلك ، فأتوا

بمعناه ، لأنهم إذا قالوا : لا علم لله ولا قدرة له ، فقد قالوا : إنه ليس بعالم ولا قادر ، ووجب ذلك عليهم ، وهذا إنما أخذوه عن أهل الزندقة والتعطيل ، لأن الزنادقة قال كثير منهم : إن الله ليس بعالم ولا قادر ولا حـــي ولا سميع ولا بصير ، فلم تقدر المعتزلة أن تفصح بذلك ، فأتت بمعناه ، وقالت : إن الله عالم قادر حي سميع بصير من طريق التسمية من غير أن يثبتوا له حقيقة العلم والقدرة والسمع والبصر .

٦٥ ـ مسألة

وقد قال رئيس من رؤسائهم ـ وهو أبو الهذيل العلاف ـ إن علم الله هو الله ، فجعل الله عز وجل علماً .

وأُلزِمَ ، فقيل له : إذا قلت : إن علم الله هو الله فقل : يا علم الله اغفر لي وارحمني ، فأبى ذلك ، فلزمته المناقضة .

واعلموا رحمكم الله أن من قال : عالم ولا علم كان مناقضاً ، كما أن من قال علم ولا عالم كان مناقضاً ، وكذلك القول في القدرة ، والقادر ، والحياة ، والحي ، والسمع ، والبصر ، والسميع ، والبصير .

٦٦ ـ جواب

ويقال لهم : خبرونا عمن زعم أن الله متكلم قائل لم يزل آمراً ناهياً لا قول له ولا كلام ولا أمر ولا نهي ، أليس هو مناقض خارج عن جملة المسلمين ؟ فلا بد من نعم ، فيقال لهم فكذلك من قال : إن الله عالم ولا علم له كان مناقضاً خارجاً عن جملة المسلمين .

وقد أجمع المسلمون قبل حدوث الجهمية والمعتزلة والحرورية ـ على أن لله علماً لم يزل ، وقد قالوا : علم الله لم يزل ، وعلم الله سابق في الأشياء ، ولا يمنعون أن يقولوا في كل حادثة تحدث ، ونازلة تنزل: كل هذا سابق في علم الله ، فمن جحد أن لله علماً، فقد خالف المسلمين ، وخرج عن اتفاقهم .

٦٧ ـ جواب

ويقال لهم : إذا كان الله مريداً أفله إرادة .

فإن قالوا : لا ،

قيل لهم : فإذا أثبتم مريداً لا إرادة له ، فأثبتوا قائلاً لا قول له ، وإن أثبتوا الإرادة قيل لهم : فإذا كان المريد لا يكون مريداً إلا بإرادة فما أنكرتم أن لا يكون العالم عالماً إلا بعلم ، وأن

يكون لله علم كما أثبتم له ارادة .

٦٨ ـ مسألة

وقد فرقوا بين العلم والكلام ، فقالوا : إن الله عز وجل عَلّم موسى وفرعون ، وكَلَّم موسى ولم يُكَلِّمفرعون ، فكذلك يقال : عَلَّمَ موسى الحكمة وفصل الخطاب ، وآتاه النبوة ، ولـم يُعلِّم ذلك فرعون ، فإن كان لله كلام لأنه كَلَّم موسى ولم يكلم فرعون ، فكذلك لله علم ، لأنه عَلَّمَ موسى ، ولم يعلِّم فرعون .

ثم يقال لهم : إذا وجب أن لله كلاماً به كلم موسـى دون فرعون إذ كلم موسى دونه ، فما أنكرتم إذا علمهما جميعاً أن يكون له عِلْمٌ بِهِ عَلَّمَهُمَا جميعاً ، ثم يقال : قد كلم الله الأشياء بأن قال لها. كوني، وقد أثبتم لله قولاً، فكذلك إن عَلّم الأشياء كلها، فله علم.

٦٩ ـ جواب

ثم يقال لهم : إذا أوجبتم أن لله كلاماً وليس له علم ، لأن الكلام أخص من العلم والعلم أعم منه ، فقولوا : إن لله قدرة، لأن العلم أعم عندكم من القدرة ، لأن من مذاهب القدرية أنهم

لا يقولون إن الله يقدر أن يخلق الكفر ، فقد أثبتوا القدرة أخص من العلم ، فينبغي لهم أن يقولوا على اعتلالهم إن لله قدرة .

٧٠ ـ جواب

ثم يقال : أليس الله عالماً ، والوصف له بأنه عالم أعم من الوصف له بأنه متكلم مكلم ؟ ثم لم يجب لأن الكلام أخص من أن يكون الله متكلماً غير عالم ، فلم لا قلتم إن الكلام وإن كان أخص من العلم أن ذلك لا ينفي أن يكون لله علم ، كما لم ينف بخصوص الكلام أن يكون الله عالماً .

٧١ ـ جواب

ويقال لهم : من أين علمتم أن الله عالم ؟ فإن قالوا : بقوله عز وجل: ﴿ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الشورى : ١٢]

قيل لهم : ولذلك فقولوا: إن لله علماً بقوله : ﴿ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ ﴾ [النساء : ١٦٦] وبقوله : ﴿ مَا تَحْمِلُ مِن أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ﴾ [فاطر : ١١] وكذلك قولوا: إن له قوة لقوله : ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَهُم هُوَ أَشَدُّ مِنْهُم قُوَّةً ﴾ [فصلت : ١٥]

وإن قالوا : قلنا : إن الله عالم لأنه صنع العالم على ما فيه من آثار الحكمة واتساق التدبير .

قيل لهم : فلم لا تقولون إن لله علماً بما ظهر في العالم من حكمه وآثار تدبيره؟ لأن الصنائع الحكمية لا تظهر إلا من ذي علم ، كما لا تظهر إلا من عالم ، وكذلك لا تظهر إلا من ذي قوة ، كما لا تظهر إلا من قادر .

٧٢ ـ جواب

ويقال لهم : إذا نفيتم علم الله فهلا نفيتم أسماءه ؟

فإن قالوا : كيف ننفي أسماءه وقد ذكرها في كتابه ؟

قيل لهم : فلا تنفوا العلم والقوة ، لأنه تبارك وتعالىٰ ذكر ذلك في كتابه .

٧٣ ـ جواب

ويقال لهم : قد عَلَّم الله عز وجل نبيه ﷺ الشرائع والأحكام ، والحلال والحرام . ولا يجوز أن يُعَلِّمَهُ ما لا يعلمه ، فكذلك لا يجوز أن يُعَلِّم اللهُ نبيهُ ما لا عِلْمَ لله به، تعالى الله عن قول الجهمية علواً كبيراً .

٧٤ ـ جواب

ويقال لهم : أليس إذا لعن الله الكافرين فلعنه لهم معنى ، ولعن النبي ﷺ لهم معنى ؟

فإن قالوا : نعم .

فيقال لهم : فما أنكرتم من أن الله إذا عَلَّم نبيه ﷺ شيئاً فيكون للنبي ﷺ ولله سبحانه علم ، وإذا كنا متى أثبتناه غاضباً على الكافرين فلا بد من إثبات غضب ، وكذلك إذا أثبتناه راضياً عن المؤمنين فلا بد من إثبات رضى ، وكذلك إذا أثبتناه حياً سميعاً بصيراً فلا بد من إثبات حياة وسمع وبصر .

٧٥ ـ جواب

ويقال لهم : وجدنا اسم عالم اشتق من عِلْمٍ ، واسم قادر اشتق من قدرة ، وكذلك اسم حي اشتق من حياة ، واسم سميع اشتق من سمع ، واسم بصير اشتق من بصر ، ولا تخلو أسماء الله عز وجل من أن تكون مشتقة ، أو لإفادة معناه ، أو على طريق التلقيب ، فلا يجوز أن يسمى الله عز وجل على طريق التلقيب باسم ليس فيه إفادة معناه ، وليس مشتقاً من صفة .

فاذا قلنا : إن الله عز وجل عالمٌ قادرٌ فليس ذلك تلقيباً ، كقولنا: زيد وعمرو، وعلى هذا إجماع المسلمين وإذا لم يكن ذلك تلقيباً وكان مشتقاً من عِلْم ، فقد وجب إثبات العلم ، وإن كان ذلك لإفادة معناه فلا يختلف ما هو لإفادة معناه ، ووجب إذا كان معنى العالم منا أن له علماً أن يكون : كل عالم فهو ذو علم ، كما إذا كان قولي : موجود مفيداً فينا الإثبات ، كان الباري تعالى واجباً إثباته ، لأنه سبحانه وتعالى موجود .

٧٦ ـ جواب

ويقال للمعتزلة والجهمية والحرورية : أتقولون إن لله علماً بالأشياء سابقاً فيها ، وبوضع كل حامل،وحمل كل أنثى ، وبانزال كل ما أنزل ؟

فإن قالوا : نعم ، فقد أثبتوا العلم ، ووافقوا .

وإن قالوا: لا .

قيل لهم : هذا جحد منكم لقول الله عز وجل ﴿ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ ﴾ [النساء : ١٦٦] ولقوله : ﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلاَ تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ ﴾ [فاطر : ١١] ولقوله : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا

لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللهِ ﴾ [هود : ١٤] وإذا كان قول الله عز وجل ﴿ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٩] ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا ﴾ [الأنعام : ٥٩] أوجب أنه عليم يَعْلَم الأشياء كذلك ، فما أنكرتم أن تكون هذه الآيات توجب أن لله علماً بالأشياء سبحانه وبحمده .

٧٧ ـ جواب

ويقال لهم : لله عز وجل علم بالتفرقة بين أوليائه وأعدائه فهل هو مريد لذلك ؟ وهل له إرادة للإيمان إذا أراد الإيمان ؟

فإن قالوا : نعم ، فقد وافقوا .

وإن قالوا : إذا أراد الإيمان فله إرادة .

قيل لهم : وكذلك إذا فرق بين أوليائه وأعدائه فلا بد من أن يكون له علم بذلك ، وكيف يجوز أن يكون للخلق علم بذلك ، وليس للخالق عز وجل علم بذلك ؟ هذا يوجب أن للخلق مزية في العلم وفضيلة على الخالق ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

٧٨ ـ جواب

ويقال لهم : إذا كان من له علم من الخلق أولى بالمنزلة

الرفيعة ممن لا علم له ، فإذا زعمتم أن الله عز وجل لا علم له لزمكم أن الخلق أعلى مرتبة من الخالق ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

٧٩ ـ جواب

ويقال لهم : إذا كان من لا علم له من الخلق يلحقه الجهل والنقصان ، فما أنكرتم من أنه لا بد من إثبات علم الله ؟ وإلا ألحقتم به النقصان جل وعز عن قولكم وعلا ، ألا ترون أن من لا يعلم من الخلق يلحقه الجهل والنقصان ، ومن قال ذلك في الله عز وجل وصف اللهَ سبحانه بما لا يليق به ، فكذلك إذا كان من قيل له من الخلق لا علم له لحقه الجهل والنقصان ، فوجب ان لا يُنْفَى ذلك عن الله عز وجل لأنه لا يلحقه جهل ولا نقصان .

٨٠ ـ جواب

ويقال لهم : هل يجوز أن تنسق الصنائع الحكمية ممن ليس بعالم ؟

فإن قالوا : ذلك محال ولا يجوز في وجود الصنائع التي تجري على ترتيب ونظام إلا من عالم قادر حي .

قيل لهم : وكذلك لا يجوز وجود الصنائع الحكمية التي تجري على ترتيب ونظام إلا من ذي علم وقدرة وحياة ، فإن جاز ظهورها لا من ذي علم فما أنكرتم من جواز ظهورها لا من عالم قادر حي ، وكل مسألة سألناهم عنها في العلم فهي داخلة عليهم في القدرة والحياة والسمع والبصر .

٨١ ـ مسألة

وزعمت المعتزلة أن قول الله عز وجل ﴿ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [الحج : ٦١] معناه عليم .

قيل لهم : فإذا قال عز وجل : ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه : ٤٦] وقال : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾ [المجادلة : ١] فهل معنى ذلك عندكم علم .

فإن قالوا : نعم .

قيل لهم : فقد وجب عليكم أن تقولوا معنى قوله ﴿ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ : أعلم وأعلم إذ كان معنى ذلك العلم .

٨٢ ـ مسألة

ونفت المعتزلة صفات رب العالمين ، وزعمت أن معنى سميع بصير: بمعنى عليم ، كما زعمت النصارى أن السمع هو بصره وهو رؤيته ، وهو كلامه ، وهو علمه ، وهو ابنه . عز الله وجل ، وتعالى الله عن ذلك غلواً كبيراً .

فيقال للمعتزلة : إذا زعمتم أن معنى سميع وبصير معنى عالم ، فهلا زعمتم أن معنى قادر معنى عالم ، فإذا زعمتم أن معنى سميع وبصير معنى قادر ، فهلا زعمتم أن معنى قادر معنى عالم ، وإذا زعمتم أن معنى حي معنى قادر ، فلم لا زعمتم أن معنى قادر معنى عالم ؟

فإن قالوا : هذا يوجب أن يكون كل معلوم مقدوراً .

قيل لهم : ولو كان معنى سميع بصير معنى عالم لكان كل معلوم مسموعاً ، وإذا لم يجز ذلك بطل قولكم .

الباب العاشر
الكلام في الإرادة والرد على المعتزلة في ذلك

٨٣ ـ مسألة

يقال لهم : ألستم تزعمون أن الله عز وجل لم يزل عالماً ؟ فإن قالوا : نعم ، قيل لهم : فلم لا تقولون : إن من لم يزل عالماً في وقت من الأوقات ، فلم يزل مريداً أن يكون في ذلك الوقت ، وما لم يزل عالماً أنه لا يكون ، فلم يزل مريداً أن لا يكون ، وأنه لم يزل مريداً أن يكون ما علم كما علم ؟

فإن قالوا : لا نقول : إن الله لم يزل مريداً ، لأن الله مريد بإرادة مخلوقة .

يقال لهم : ولم زعمتم أن الله عز وجل مريد بإرادة مخلوقة ؟ وما الفصل بينكم وبين الجهمية في زعمهم أن الله عَالِمٌ بعلم مخلوق ، وإذا لم يجز أن يكون علم الله مخلوقاً فما أنكرتم أن لا تكون إرادته مخلوقة .

فإن قالوا : لا يجوز أن يكون علـم الله محدثـاً لأن ذلك يقتضي أن يكون حدث بعلم آخر ، كذلك لا إلى غاية .

قيل لهم : ما أنكرتم أن لا تكون إرادة الله محدثة مخلوقة ، لأن ذلك يقتضي أن تكون حدثت عن إرادة أخرى ، ثم كذلك لا إلى غاية .

فإن قالوا : لا يجوز أن يكون علم الله محدثـاً لأن من لم يكن عالماً ثم علم لحقه النقصان .

قيل لهم : ولا يجوز أن تكون إرادة الله محدثة مخلوقة ، لأن من لم يكن مريداً حتى أراد لحقه النقصان ، وكما لا يجوز أن تكون إرادته تعالى محدثة مخلوقة ، كذلك لا يجـوز أن يكون كلامه محدثاً مخلوقاً .

٨٤ ـ مسألة أخرى

ويقال لهم : إذا زعمتم أنه قد كان في سلطان الله عز وجل الكفر والعصيان وهو لا يريده ، وأراد أن يؤمن الخلق أجمعون ، فلم يؤمنوا. فقد وجب على قولكم : إن أكثرما شاء الله أن يكون لم يكن ، وأكثر ما شاء الله أن لا يكون كان ، لأن الكفر الذي كان

وهو لا يشاؤه، الله عندكم أكثر من الإيمان الذي كان وهو يشاؤه ، وأكثر ما شاء أن يكون لم يكن ، وهذا جحد لما أجمع عليه المسلمون من أن ما شاء الله أن يكون كان ، وما لا يشاء لا يكون .

٨٥ ـ مسألة أخرى

ويقال لهم : يستفاد من قولكم : إن كثيراً مما شاء إبليس أن يكون كان ، لأن الكفر أكثر من الإيمان ، وأكثر ما كان هو شاءه فقد جعلتم مشيئة إبليس أنفذ من مشيئة رب العالمين ، جل ثناؤه وتقدست أسماؤه ، لأن أكثر ما شاءه كان ، وأكثر ما كان قد شاءه ، وفي هذا إيجاب أنكم قد جعلتم لإبليس مرتبة في المشيئة ليست لرب العالمين ، تعالى الله عز وجل عن قول الظالمين علواً كبيراً .

٨٦ ـ مسألة أخرى

ويقال لهم : أيما أولى بصفة الاقتدار من إذا شاء أن يكون الشيء كان لا محالة ، وإذا لم يرده لم يكن ، أو من يريده أن يكون فلا يكون ، ويكون ما لا يريد ؟

فإن قالوا : من لا يكون أكثر ما يريده أولى بصفة الاقتدار كابروا .

وقيل لهم : إن جاز لكم ما قلتموه جاز لقائل أن يقول من يكون ما لا يعلمه أولى بالعلم ممن لا يكون إلا ما يعلمه ، وإن رجعوا عن هذه المكابرة وزعموا أن من إذا أراد أمراً كان ، واذا لم يرده لا يكون أولى بصفة الاقتدار ، لزمهم على مذاهبهم أن يكون ابليس لعنة الله عليه أولى بالاقتدار من الله عز وجل ، لأن أكثر ما أراده كان ، وأكثر ما كان قد أراده .

وقيل لهم : إذا كان من إذا أراد أمراً كان ، واذا لم يرده لم يكن أولى بصفة الاقتدار ، فيلزمكم أن يكون الله عز وجل إذا أراد أمراً كان ، وإذا لم يرده لم يكن ، لأنه أولى بصفة الاقتدار .

٨٧ ـ مسألة

ويقال لهم : أيما أولى بالألوهية والسلطان من لا يكون إلا ما يعلمه ، ولا يغيب عن علمه شيء ، ولا يجوز ذلك عليه ؟ أو من يكون ما لا يعلمه ، ويعزب عن علمه أكثر الأشياء ؟

فإن قالوا : من لا يكون إلا ما يعلمه ولا يعزب عن علمه

شيء أولى بصفة الألوهية .

قيل لهم : فكذلك من لا يريد كون شيء إلا ما كان ، ولا يكون إلا ما يريده ، ولا يعزب عن إرادته شيء ، أولى بصفة الألوهية ، كما قلتم ذلك في العلم . وإن قالوا ذلك تركوا قولهم ، ورجعوا عنه ، وأثبتوا الله عز وجل مريداً لكل كائن ، وأوجبوا أنه لا يكون إلا ما يريد أن يكون .

٨٨ ـ مسألة

ويقال لهم : إذا قلتم إنه يكون في سلطانه تعالى ما لا يريد ، فقد كان إذن في سلطانه ما كرهه ، فلا بد من نعم .

فيقال لهم : فإذا كان في سلطانه ما يكرهه ، فما أنكرتم أن يكون في سلطانه ما يأبى كونه ، فإن أجابوا إلى ذلك ، قيل لهم : فقد كانت المعاصي شاء الله أم أبى ، وهذه صفة الضعف والفقر ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

٨٩ ـ مسألة

ويقال لهم : أليس مما فعل العباد ما يُسْخِطه تعالى وما يغضب عليهم إذا فعلوه ، فقد أغضبوه وأسخطوه ؟ فلا بد من نعم .

فيقال لهم : فلو فعل العباد ما لا يريد وما يكرهه لكانوا قد أكرهوه ، وهذه صفة القهر ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

٩٠ ـ مسألة

ويقال لهم : أليس قد قال الله تعالى عز وجل : ﴿ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴾ [هود : ١٠٧ والبروج : ١٦] فلا بد من نعم، فيقال لهم : فمن زعم أن الله تعالى فعل ما لا يريد ، وأراد أن يكون من فعله ما لا يكون لزمه أن يكون قد وقع ذلك وهو ساهٍ غافل عنه ، أو أن الضعف والتقصير عن بلوغ ما لا يريده لَحِقَهُ ، فلا بد من نعم .

فيقال لهم : فكذلك من زعم أنه يكون في سلطان الله عز وجل ما لا يريده من عبيده لزمه أحد أمرين ، إما أن يزعم أن ذلك كان عن سهو وغفلة ، أو يزعم أن الضعف والتقصير عن بلوغ ما يريده لحقه .

٩١ ـ مسألة

ويقال لهم : أليس من زعم أن الله عز وجل فعل ما لا يعلمه قد نسب الله سبحانه إلى ما لا يليق به من الجهل ؟ فلا بد من

نعم . فيقال لهم : فكذلك من زعم أن عبد الله فعل ما لا يريده لزمه أن ينسب الله سبحانه إلى السهو والتقصير عن بلوغ ما يريده ، فإذا قالوا: نعم .

قيل لهم : وكذلك يلزم من زعم أن العباد يفعلون ما لا يعلم الله نَسَبُ الله تعالى إلى الجهل ، فلا بد من نعم .

فيقال لهم : فكذلك إذا كان في كل فعل فعله الله وهو لا يريده إيجاب سهو أو ضعف وتقصير عن بلوغ ما يريده ، فكذلك إذا كان من غيره ما لا يريده وجب إثبات سهو وغفلة أو ضعف وتقصير عن بلوغ ما يريد ، لا فرق في ذلك بين ما كان منه وما كان من غيره .

٩٢ ـ مسألة

ويقال لهم : إذا كان في سلطان الله ما لا يريده وهو يعلمه ، ولا يلحقه الضعف والتقصير عن بلوغ ما يريده ، فما أنكرتم أن يكون في سلطانه ما لا يعلمه ولا يلحقه النقصان ، فإن لم يجز هذا لم يجز ما قلتموه .

٩٣ ـ مسألة

إن قال قائل : لم قلتم : إن الله مريد لكل كائن أن يكون ،

ولكل ما لا يكون أن لا يكون ؟

قيل لـه : الدليل على ذلك أن الحجة قد وضحت أن الله عز وجل خلق الكفر والمعاصي ـ وسنبين ذلك بعد هذا الموضع من كتابنا ـ وإذا وجب أن الله سبحانه خالق لذلك ، فقد وجب أنه مريد له لأنه لا يجوز أن يخلق ما لا يريده .

٩٤ ـ وجواب آخر :

أنه لا يجوز أن يكون في سلطان الله عز وجل من اكتساب العباد ما لا يريده ، كما لا يجوز أن يكون من فعله المُجْمَعِ على أنه فعله ما لا يريده ، لأنه لو وقع من فعله ما لا يعلمه لكان في ذلك إثبات النقصان ، وكذلك القول لو وقع من عباده ما لا يعلمه ، فكذلك لا يجوز أن يقع من عباده ما لا يريده ، لأن ذلك يوجب أن يقع عن سهو وغفلة ، أو عن ضعف وتقصير عن بلوغ ما يريده ، كما يجب ذلك لو وقع من فعله المُجْمَعِ على أنه فعله ما لا يريده . وأيضاً فلو كانت المعاصي وهو لا يشاء أن تكون لكان قد كَرِهَ أن تكون ، وأبى أن تكون ، وهذا يوجب أن تكون المعاصي كائنة شاء الله أم أبى ، وهذه صفة الضعف ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

وقد أوضحنا أن الله لم يزل مريداً على الحقيقة الذي عِلْمُهُ عليها ، فإذا كان الكفر مما يكون وقد علم ذلك فقد أراد أن يكون .

٩٥ ـ مسألة

ويقال لهم : إذا كان الله عز وجل علم أن الكفر يكون ، وأراد أن لا يكون ، فقد أراد أن يكون ما علم على خلاف ما علم ، وإذا لم يجز ذلك ، فقد أراد أن يكون ما علم كما علم .

٩٦ ـ مسألة

ويقال لهم : لم أبيتم أن يريد الله الكفر الذي علم أنه يكون قبيحاً فاسداً ؟

فإن قالوا : لأن مريد السَّفَهِ سَفِيهٌ .

قيل لهم : ولم قلتم ذلك ؟ أوليس قد أخبر الله تعالى عن ابن آدم أنه قال لأخيه : ﴿ لَئِنْ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴾ [المائدة : ٢٨ ـ ٢٩] فأراد أن لا يقتل أخاه لئلا يعذب ، وأن

يقتله أخوه حتى يبوء بإثم قتله له ، وسائر آثامه التي كانت عليه ، فيكون من أصحاب النار، فأراد قتل أخيه الذي هو سفه، ولم يكن بذلك سفيهاً، فلم زعمتم أن الله سبحانه إذا أراد سفه العباد وجب أن ينسب ذلك إليه؟

٩٧ ـ مسألة

ويقال لهم : قد قال يوسف عليه السلام : ﴿ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ [يوسف : ٣٣] وكان سجنهم إياه معصية ، فأراد المعصية التي هي سجنهم إياه دون فعل ما يدعونه إليه ، ولم يكن بذلك سفيهاً ، فما أنكرتم من أن لا يجب إذا أراد الباري سبحانه سفه العباد ، بأن يكون قبيحاً منهم خلافاً للطاعة أن يكون سفيهاً .

٩٨ ـ مسألة أخرى

ويقال لهم : أليس من يرى منا جرم المسلمين كان سفيهاً ، والله سبحانه يراهم ولا يُنسب إلى السفه ، فلا بد من نعم .

فيقال لهم : فما أنكرتم أن من أراد السفه منا كان سفيهاً والله سبحانه يريد سفه السفهاء ، ولا ينسب إليه أنه عز وجل سفيه ، تعالى الله عن ذلك .

٩٩ ـ مسألة أخرى

ويقال لهم : السفيه منا إنما كان سفيهاً لَمّا أراد السفه ، لأنه نهي عن ذلك ، ولأنه تحت شريعة من هو فوقه ، ومن يحد له الحدود ، ويرسم له الرسوم ، فلما أتى ما نهي عنه كان سفيهاً ، ورب العالمين جل ثناؤه وتقدست أسماؤه ليس تحت شريعة ولا فوقه من يحد له الحدود ، ويرسم له الرسوم ، ولا فوقه مبيح ولا حاظر ولا آمر ولا زاجر ، فلم يجب إذا أراد ذلك أن يكون قبيحاً أن ينسب إلى السفه سبحانه وتعالى .

١٠٠ ـ مسألة أخرى

ويقال لهم : أليس من خَلاّ بين عبيده وبين إمائه منا يزني بعضهم ببعض ، وهو لا يعجز عن التفريق بينهم يكون سفيهاً ، ورب العالمين عز وجل قد خَلاّ بين عبيده وإمائه يزني بعضهم ببعض ، وهو يقدر على التفريق بينهم ، وليس سفيهاً وكذلك من أراد السفه منا كان سفيهاً ، ورب العالمين جل وعز يريد السفه وليس سفيهاً .

١٠١ ـ مسألة أخرى

ويقال لهم : من أراد طاعة الله منا كان مطيعاً كما أن من

أراد السفه كان سفيهاً ، ورب العالمين عز وجل يريد الطاعة وليس مطيعاً ، فكذلك يريد السفه وليس سفيهاً .

١٠٢ ـ مسألة أخرى

ويقال لهم : قال الله عز وجل : ﴿ وَلَوْ شَاءَ الله مَا اقْتَتَلُوا ﴾ [البقرة : ٢٥٣] فأخبر أنه لو شاء أن لا يقتتلوا ما اقتتلوا ، قال :﴿ وَلَكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيد ﴾[البقرة :٢٥٣] من القتال ، فإذا وقع القتال فقد شاءه ، كما أنه قال: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْه ﴾ [الأنعام : ٢٨] فقد أوجب أن الرد لو كان إلى الدنيا لعادوا إلى الكفر ، وأنهم إذا لم يردهم إلى الدنيا لم يعودوا ، فكذلك لو شاء أن لا يقتتلوا لما اقتتلوا ، وإذا اقتتلوا فقد شاء أن يقتتلوا .

١٠٣ ـ مسألة

ويقال لهم : قال الله عز وجل : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ القَوْلُ مِنِّي لأَملأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [السجدة : ١٣] واذا حق القول بذلك فما شاء أن يؤتي كل نفس هداها ، لأنه إنما لم يؤتها هداها لما

حق القول بتعذيب الكافرين ، وإذا لم يرد ذلك فقد شاء ضلالتها .

فإن قالوا : معنى ذلك لو شئنا لأجبرناهم على الهدى واضطررناهم إليه .

قيل لهم : فإذا أجبرهم على الهدى واضطرهم إليه أيكونون مهتدين ؟

فإن قالوا : نعم .

قيل لهم : فإذا كان إذا فعل الهدى كانوا مهتدين ،فما أنكرتم لو فعل كفر الكافرين لكانوا كافرين ، وهذا هدم لقولهم ، لأنهم زعموا أنه لا يفعل الكفر إلا كافر .

ويقال لهم أيضاً : على أي وجه يؤتيهم الهدى لو آتاهم إياه وشاء ذلك لهم ؟

فإن قالوا : على الإلجاء ،

قيل لهم : وإذا ألجأهم إلى ذلك هل ينفعهم ما يفعلونه على طريق الإلجاء ؟

فإن قالوا : نعم

قيل لهم : فإذا أخبر أنه لو شاء لآتاهم الهدى لولا ما حق منه من القول أنه يملأ جهنم ، وإذا كان لو ألجأهم لم يكن نافعاً لهم ولا مزيلاً للعذاب عنهم ، كما لم ينفع فرعون قوله الذي قاله

عند الغرق والإلجاء، فلا معنى لقولكم ، لأنه لولا ما حق من القول لأوتيت كل نفس هداها ، وإتيان الهدى على الوجه الذي قلتموه لا يزيل العذاب .

١٠٤ ـ مسألة أخرى

ويقال لهم : قال الله عز وجل : ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوا فِي الأَرْضِ ﴾ [الشورى : ٢٧] وقال : ﴿ وَلَوْلاَ أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمٰن لِبُيُوتِهِم سُقُفاً مِّن فِضَّةٍ ﴾ [الزخرف : ٣٣] فأخبر أنه لولا أن يكون الناس مجتمعين على الكفر لبسط للكافرين الرزق ، وجعل لبيوتهم سقفاً من فضة ، لكنه لم يبسط لهم الرزق ، ولم يجعل للكافرين سقفاً من فضة ، فما أنكرتم من أنه لو لم يرد أن يكون الكافرون ما خلقهم مع علمه بأنه إذا خلقهم كانوا كافرين ، كما أنه لو أراد أن يكون الناس على الكفر مجتمعين لجعل للكافرين سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون ، لكنه لم يجعل للكافرين سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون ، لئلا يكون الناس جميعاً على الكفر متطابقين، إذا كان في علمه أنه لو فعل ذلك لكانوا جميعاً على الكفر متطابقين.

الباب الحادي عشر
في تقدير أعمال العباد والاستطاعة والتعديل والتجوير

يقال للقدرية : هل يجوز أن يُعَلِّم الله عز وجل عباده شيئاً لا يعلمه ؟

فإن قالوا : لا يُعلِّم الله عباده شيئاً إلا وهو به عالم .

قيل لهم : فكذلك لا يقدرهم على شيء إلا وهو عليه قادر ، فلا بد من الإجابة إلى ذلك .

فيقال لهم : فإذا أقدرهم على الكفر فهو قادر على أن يخلق الكفر لهم ، وإذا قدر على خلق الكفر لهم فَلِمَ أثبتم خلق كفرهم فاسداً متناقضاً باطلاً ، وقد قال تعالى : ﴿ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴾ [هود : ١٠٧ والبروج : ١٦] وإذا كان الكفر مما أراد فقد فعله وقَدَّرَهُ .

١٠٤ ـ مسألة

ويُرَدُّ عليهم في اللطف . يقال لهم : أليس الله عز وجل

قادراً على أن يفعل بخلقه من بسط الرزق ما لو فعله بهم لبغوا ؟ وأن يفعل بهم ما لو فعله بالكفار لكفروا ؟ كما قال : ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ ﴾ [الشورى : ٢٧] وكما قال : ﴿ وَلَوْلاَ أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِم سُقُفاً مِّن فِضَّةٍ﴾ الآية [الزخرف : ٣٣] . فلا بد من نعم .

فيقال لهم : فما أنكرتم من أنه قادر على أن يفعل بهم لطفاً لو فعله بهم لآمنوا أجمعون ، كما أنه قادر على أن يفعل بهم أمراً لو فعله بهم لكفروا كلهم .

١٠٥ ـ مسألة أخرى

ويقال لهم : أليس قد قال الله عز وجل : ﴿ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [النساء : ٨٣] ﴿ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُم وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنْكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدَاً ﴾ [النور : ٢١] وقال : ﴿ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الجَحِيمِ ﴾ [الصافات : ٥٥] ـ يعني في وسط الجحيم ـ قال : ﴿ تَاللهِ إِن كِدتَ لَتُرْدِينِ * وَلَوْلاَ نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾ [الصافات : ٥٦ ـ ٥٧] .

ما الفضل الذي فعله بالمؤمنين الذي لو لم يفعله لاتبعوا الشيطان ؟ ولو لم يفعله ما زكى منهم من أحد أبداً ؟ وما النعمة التي لو لم يفعلها لكان من المحضرين ؟

وهل ذلك شيء لم يفعله بالكافرين وخص بهم المؤمنين ؟

فإن قالوا: نعم، فقد تركوا قولهم ، وأثبتوا لله عز وجل نعماً وفضلاً على المؤمنين ابتدأهم بجميعه ، ولم ينعم بمثله على الكافرين وصاروا إلى القول بالحق .

وإن قالوا قد فعل الله ذلك أجمع بالكافرين لما فَعلَه بالمؤمنين فَعَل لهم . فإذا كان الله عز وجل قد فعل ذلك أجمع بالكافرين ، فلم يكونوا زاكين ، وكانوا للشيطان متبعين ، وفي النار محضرين .

وهل يجوز أن يقول للمؤمنين: لولا أني خلقت لكم الأيدي والأرجل لكنتم للشيطان متبعين ؟ وهو قد خلق الأيدي والأرجل للكافرين وكانوا للشيطان متبعين .

فإن قالوا : لا يجوز ذلك .

قيل لهم :وكذلك لا يجوز ما قلتموه، وهذا يبين أن الله عزوجل اختص المؤمنين من النعم والتوفيق والتسديد بما لم يُعطِ الكافرين ، وفضل عليهم المؤمنين .

١٠٦ ـ في الاستطاعة

ويقال لهم : أليست استطاعة الإيمان نعمة من الله عز وجل وفضلاً وإحساناً ؟

فإذا قالوا : نعم.

قيل لهم : فما أنكرتم أن يكون توفيقاً وتسديداً فلا بد من الإجابة إلى ذلك .

ويقال لهم : فإذا كان الكافرون قادرين على الإيمان فما أنكرتم أن يكونوا موفَّقين للإيمان ، ولو كانوا موفَّقين مسدَّدين لكانوا ممدوحين ، وإذا لم يجز ذلك لم يجز أن يكونوا على الإيمان قادرين ، ووجب أن يكون الله عز وجل اختص بالقدرة على الإيمان المؤمنين .

١٠٧ ـ مسألة أخرى

ويقال لهم : ولو كانت القدرة على الكفر قدرة على الإيمان

فقد رُغِبَ إليه في القدرة على الكفر ، فلما رأينا المؤمنين يرغبون إلى الله عز وجل في قدرة الإيمان ، ويزهدون في قدرة الكفر علمنا أن الذي رغبوا فيه غير الذي زهدوا فيه .

١٠٨ ـ مسألة أخرى

ويقال لهم : أخبرونا عن قوة الإيمان أليست فضلاً من الله عز وجل ؟ فلا بد من نعم .

فيقال لهم : فالتفضل أليس هو ما للمتفضل أن لا يتفضل به ، وله أن يتفضل به ؟ فلا بد من الإجابة إلى ذلك بنعم ، لأن ذلك هو الفرق بين الفضل وبين الاستحقاق .

ويقال لهم : وللمتفضل إذا أمر بالإيمان أن يرفع التفضل ولا يتفضل به فيأمرهم بالإيمان ، وإن خذلهم لم يعطهم قدرة على الإيمان . وهذا هو قولنا ومذهبنا .

١٠٩ ـ مسألة

ويقال لهم : هل يقدر الله على توفيق يوفق به الكافرين حتى يكونوا مؤمنين ؟

فإن قالوا : لا . نطقوا بتعجيز الله عز وجل ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

وإن قالوا : نعم ، يقدر على ذلك ، ولو فعل بهم التوفيق لآمنوا ، تركوا قولهم ، وقالوا بالحق .

١١٠ ـ مسألة

وإن سألوا عن قول الله عز وجل : ﴿ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴾ [غافر : ٣١]

وعن قوله : ﴿وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران : ١٠٨] .

قيل لهم : معنى ذلك أنه لا يريد أن يظلمهم ، لأنه قال : وما الله يريد ظلماً لهم ، ولم يقل : لا يريد ظلم بعضهم لبعض ، فلم يرد أن يظلمهم ، وإن كان أراد ظلم بعضهم لبعض ، أي فلم يرد أن يظلمهم وإن كان أراد أن يتظالموا .

١١١ ـ مسألة

وإن سألوا عن قول الله تعالى : ﴿ مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ﴾ [الملك : ٣] قالوا : والكفر متفاوت فكيف يكون من خلق الله ؟

والجواب عن ذلك أنه عز وجل قال : ﴿ خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ * ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ [الملك : ٣ ـ ٤] فإنما عنى حينئذ وما ترى في السموات من فطور ، لأنه ذكر خلق السموات ولم يذكر الكفر ، وإذا كان هذا على ما قلنا بطل ما قالوه ، والحمد لله رب العالمين .

١١٢ ـ مسألة

ويقال لهم : هل تعرفون لله عز وحل نعمة على أبـي بكر الصديق رضي الله عنه خُصَّ بها دون أبي جهل ابتداءً؟

فإن قالوا : لا ، فَحُشَ قولُهم .

وإن قالوا : نعم ، تركوا مذ هبهم ، لأنهم لا يقولون : إن الله خص المؤمنين في الابتداء بما لم يخص به الكافرين .

١١٣ ـ مسألة

وإن سألوا عن قول الله عز وجل : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ﴾ [ص : ٢٧] فقالوا : هذه الآية

تدل على أن الله عز وجل لم يخلق الباطل .

والجواب عن ذلك : أن الله عز وجل أراد تكذيب المشركين الذين قالوا: لا حشر ولا نشور ولا إعادة ، فقال تعالى : ما خلقت ذلك وأنا لا أثيب من أطاعني ولا أعاقب من عصاني ، كما ظن الكافرون أنه لا حشر ولا نشور ولا ثواب ولا عقاب ، ألا تراه قال : ﴿ ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴾ [ص : ٢٧] وبيّن ذلك بقوله : ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ [ص : ٢٨] أي لا نسوِّي بينهم في أن نفنيهم أجمعين ولا نعيدهم فيكون سبيلهم سبيلاً واحداً .

١١٤ ـ مسألة

وإن سألوا عن قول الله عز وجل : ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾ [النساء : ٧٩] .

والجواب عن ذلك : أن الله عز وجل قال : ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ ﴾ يعني الخصب والخير ، يقولوا هذه من عند الله ، وإن تصبهم سيئة ، يعني الجدوبة والقحط والمصائب ، قالوا : هذه من

عندك ، أي لشؤمك ، قال الله يا محمد : ﴿ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ فَمَالِ هَؤُلاَءِ الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً ﴾ [النساء : ٧٨] في قولهم : ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾ [النساء : ٧٩] فحذف قولهم ، لأن ما تقدم من الكلام يدل عليه ، لأن القرآن لا يتناقض ، ولا يجوز أن يقول في آية إن الكل من عند الله ، ثم يقول في الآية الأخرى التي تليها إن الكل ليس من عند الله ، على أن ما أصاب الناس هو غير ما أصابوه ، وهذا يبين بطلان تعلقهم بهذه الآية ، ويوجب عليهم الحجة .

١١٥ ـ مسألة

وإن سألوا عن قول الله عز وجل : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] .

فالجواب عن ذلك : أن الله عز وجل إنما عنى المؤمنين دون الكافرين ، لأنه أخبرنا أنه ذرأ لجهنم كثيراً من خلقه ، فالذين خلقهم لجهنم وأحصاهم وعدَّهم وكتبهم بأسمائهم وأسماء آبائهم وأمهاتهم غير الذين خلقهم لعبادته .

١١٦ ـ في التكليف

ويقال لهم : أليس قد كلف الله عز وجل الكافرين أن يستمعوا الحق ويقبلوه ؛ ويؤمنوا بالله ؟ فلا بد من نعم .

فيقال لهم : فقد قال الله عز وجل : ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمع ﴾ [هود : ٢٠] وقال : ﴿ وَكَانُوا لاَ يَسْتَطِيعُونَ سَمْعَاً ﴾ [الكهف : ١٠١] وقد كلفهم استماع الحق .

١١٧ ـ مسألة

ويقال لهم : أليس قد قال الله عز وجل : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَون إلى السُّجُودِ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ ﴾[القلم:٤٢] أليس قد أمرهم عز وجل بالسجود في الآخرة ؟ وجاء في الخبر أن المنافقين يجعل في أصلابهم كالصفائح فلا يستطيعون السجود ، وفي هذا تثبيت لما نقوله من أنه لا يجب لهم على الله عز وجل إذا أمرهم أن يقدرهم ، وهو بطلان قول القدرية .

١١٨ ـ في إيلام الأطفال

ويقال لهم : أليس قد آلم الله عز وجل الأطفال في الدنيا بآلام أوصلها اليهم ؟ كنحو الجذام الذي يقطع أيديهم وأرجلهم

وغير ذلك مما يؤلمهم به ، وكان ذلك سائغاً جائزاً . فإذا قالوا : نعم

قيل لهم : فإذا كان هذا عدلاً فما أنكرتم أن يؤلمهم في الآخرة ويكون ذلك منه عدلاً .

فإن قالوا : آلمهم في الدنيا ليعتبر بهم الآباء .

قيل لهم : فإذا فعل بهم ذلك في الدنيا ليعتبر بهم الآباء ، وكان ذلك منه عدلاً فلم لا يؤلم أطفال الكافرين في الآخرة ليغيظ بذلك آباءهم ويكون ذلك منه عدلاً ؟

وقد قيل في الخبر : « إن أطفال المشركين توجج لهم نار يوم القيامة، ثم يقال لهم اقتحموها، فمن اقتحمها أدخله الجنة، ومن لم يقتحمها أدخله النار»(٣٤) .

وقد قيل في الأطفال ، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم « إن شئت أسمعتك ضغاءهم في النار »(٣٥) .

---

(٣٤) تقدم تخريجه صفحة ٢٨ تعليق رقم ١٤ .

(٣٥) أخرجه أحمد في « المسند » ٢٠٨/٦ بلفظ : « أسمعتك تضاغيهم في النار » وفي سنده أبو عقيل مولى بهية وهو ضعيف وبهية مجهولة

١١٩ ـ مسألة

ويقال لهم : أليس قد قال الله تعالى : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ [المسد : ١ ـ ٣] وأمره مع ذلك بالإيمان ، فأوجب عليه أن يعلم أنه لا يؤمن ، وأن الله صادق في إخباره عنه أنه لا يؤمن . وأمره مع ذلك أن يؤمن ، ولا يجتمع الايمان والعلم بأنه لا يكون . ولا يقدر القادر علىٰ أن يؤمن وأن يعلم أنه لا يؤمن ، وإذا كان هذا هكذا ، فقد أمر الله سبحانه أبا لهب بما لا يقدر عليه ، لأنه أمره أن يؤمن وأنه يعلم أنه لا يؤمن .

١٢٠ ـ مسألة

ويقال لهم : أليس أَمَرَ الله عز وجل بالإيمان من علم أنه لا يؤمن ؟

فإن قالوا : نعم ، يقال لهم : فأنتم قادرون على الايمان ويتأتى لكم ذلك .

وإن قالوا : لا ، وافقوا . وإن قالوا : نعم ، زعموا أن العباد يقدرون على الخروج من علم الله ، تعالى الله عز وجل عن ذلك علواً كبيراً .

١٢١ ـ الرد على المعتزلة

قال أبو الحسن الأشعري :

ويقال لهم : أليس المجوس أثبتوا أن الشيطان يقدر على الشر الذي لا يقدر الله عز وجل عليه ، فكانوا بقولهم هذا كافرين ؟

فلا بد من نعم .

فيقال لهم : فإذا زعمتم أن الكافرين يقدرون على الكفر ، والله عز وجل لا يقدر عليه ، فقد زدتم على المجوس في قولهم ، لأنكم تقولون معهم إن الشيطان يقدر على الشر والله لا يقدر عليه ، وهذا مما يبينه الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن القدرية مجوس هذه الأمة »[٣٦] وإنما صاروا مجوس هذه الأمة لأنهم قالوا بقول المجوس .

١٢٢ ـ مسألة

وزعمت القدرية أنا نستحق اسم القدر ، لأنا نقول : إن الله

---

(٣٦) تقدم تخريجه صفحة ١٣ تعليق رقم ١ .

عز وجل قدر الشر والكفر ، فمن يثبت القدر كان قدرياً دون من لم يثبته .

فيقال لهم :القدري هو من يثبت القدر لنفسه دون ربه عز وجل، وأنه يقدر أفعاله دون خالقه ، وكذلك هو في اللغة ، لأن الصائغ هو من زعم أنه يصوغ دون من يقول إنه يصاغ له ، والنجار هو من يضيف النجارة إلى نفسه دون من يزعم أنه ينجر له ، فلما كنتم تزعمون أنكم تقدرون أعمالكم وتفعلونها دون ربكم وجب أن تكونوا قدرية ، ولم نكن نحن قدرية ، لأنا لم نضف الأعمال إلى أنفسنا دون ربنا عز وجل، ولم نقل: إنا نقدرها دونه ، وقلنا : إنها تقدر لنا .

١٢٣ ـ جواب

ويقال لهم : إذا كان من أثبت التقدير لله عز وجل قدرياً ، فيلزمكم إذا زعمتم أن الله عز وجل قدر السموات والأرض وقدر الطاعات أن تكونوا قدرية ، فإذا لم يلزم هذا فقد بطل قولكم وانتقض كلامكم .

١٢٤ - مسألة في الختم

يقال لهم : أليس قد قال الله عز وجل : ﴿ خَتَمَ اللهُ عَلَىٰ

قُلُوبِهِم وَعَلَىٰ سَمْعِهِم وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِم غِشَاوَةٌ ﴾ [البقرة : ٧]

وقال عز وجل : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً ﴾[الأنعام:١٢٥]

فخبرونا عن الذين ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ، أتزعمون أنه هداهم وشرح للإسلام صدورهم وأضلهم ؟ فإن قالوا : نعم ، تناقض قولهم، وقيل لهم : كيف القفل الذي قال الله عز وجل : ﴿ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد : ٢٤] مع الشرح ، والضيق مع السعة ، والهدى مع الضلال ؟ إن كان هذا جَاز أن يجتمع التوحيد والإلحاد الذي هو ضد التوحيد ، والكفر والإيمان معاً في قلب واحد ، وان لم يجز هذا لم يجز ما قلتموه .

فإن قالوا : الختم والضيق والضلال لا يجوز أن يجتمع مع شرح الله الصدر .

قيل لهم : وكذلك الهدى لا يجتمع مع الضلال ، وإذا كان هكذا فما شرح الله صدورَ الكافرين للإيمان ، بل ختم على قلوبهم،وأقفلها عن الحق ، وشد عليها ، كما دعا نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام على قومه ، فقال : ﴿ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى

أَمْوَالِهِم وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِم فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوا العَذَابَ الأَلِيم ﴾ [يونس : ٨٨] وقال الله عز وجل : ﴿ قَدْ أُجِيبَتْ دَّعْوَتُكُما ﴾ [يونس : ٨٩] وقال عز وجل يخبر عن الكافرين أنهم قالوا : ﴿ قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ ﴾ [فصلت : ٥] فإذا خلق الله الأكنـةَ في قلوبهـم والقفل والزيغ ـ لأن الله تعالى قال : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُم ﴾ [الصف : ٥]ـ والختمَ وضيقَ الصـدر ، ثم أمرهـم بالإيمان الذي عَلِمَ أنه لا يكون ، فقد أمرهم بما لا يقـدرون عليه ، وإذا خلـق الله في قلوبهـم ما ذكرنـاه من الضيق عن الايمان ، فهل الضيق عن الإيمان إلا الكفر الذي في قلوبهم ، وهذا يبين أن الله خلق كفرهم ومعاصيهم .

١٢٥ ـ جواب

ويقال لهم : قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَلَـوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاك لَقَـدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِـمْ شَيْئًـا قَلِيلًا ﴾ [الاسراء : ٧٤] وقال يخبر عن يوسف : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ [يوسف : ٢٤] فحدِّثونا عن ذلك

التثبيت والبرهان ، هل فعله الله عز وجل بالكافرين أو ما هو مثله ؟

فإن قالوا : لا . تركوا القول بالقدر .

وإن قالوا : نعم

قيل لهم : فإذا كان لم يركن إليهم من أجل التثبيت فيجب لو كان فعل ذلك بالكافرين أن لا يثبتوا عن الكفر ، وإذا لم يكونوا عن الكفر مفترقين فقد بطل أن يكون فعل بهم مثل ما فعله بالنبي صلى الله عليه وسلم من التثبيت الذي لما فعله به لم يركن الى الكافرين .

١٢٦ ـ مسألة في الاستثناء

يقال لهم : خبرونا عن مطالبة رجل بحق ، فقال له : والله لأعطينك ذلك غداً إن شاء الله ، أليس الله شائياً أن يعطيه حقه ؟

فإن قالوا : نعم .

يقال لهم : أفرأيتم إن جاء الغد فلم يعطه حقه ، أليس لا يحنث ؟ فلا بد من نعم .

فيقال لهم: فلو كان الله شاء أن يعطيه حقه لحنث إذا لم

يعطه ، كما لو قال : والله لأعطينك حقك إذا طلع الفجر غداً ، ثم طلع ولم يعطه يكون حانثاً .

١٢٧ - مسألة في الآجال

يقال لهم : أليس قد قال الله عز وجل : ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُم لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٤] وقال : ﴿ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ﴾ [المنافقون : ١١] فلا بد من نعم

يقال لهم : فخبرونا عمن قَتَله قاتلٌ ظُلماً أتزعمون أنه قُتل في أجله أو بغير أجله ؟

فإن قالوا : نعم ، وافقوا وقالوا بالحق ، وتركوا القدر .

وإن قالوا : لا

قيل لهم : فمتى أجل هذا المقتول ؟

فإن قالوا : الوقت الذي علم الله أنه لو لم يقتل لتزوج امرأة علم أنها امرأته ، وإن لم يبلغ إلى أن يتزوجها ، وإذا كان في معلوم الله أنه لو لم يقتل وبقي لكفر أن تكون النار داره ، وإذا لم يجز هذا لم يجز أن يكون الوقت الذي لم يبلغ إليه أجلاً له ، على أن هذا القول لا يفيد لقول الله عز وجل : ﴿ فَإِذَا جَاءَ

أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف:٣٤].

١٢٨ ـ مسألة أخرى

ويقال لهم : إذا كان القاتل عندكم قادراً على أن لا يقتل هذا المقتول ، فيعيش فهو قادر على قطع أجله وتقديمه قبل أجله ، وهو قادر على تأخيره إلى أجله ، فالإنسان على قولكم يقدر أن يقدم آجال العباد ويؤخرها ، ويقدر أن يبقي العباد ويبلغهم ويخرج أرواحهم ، وهذا إلحاد في الدين .

١٢٩ - مسألة في الأرزاق

ويقال لهم : خبرونا عمن اغتصب طعاماً فأكله حراماً هل رزقه الله ذلك الحرام ؟

فإن قالوا : نعم تركوا القدر .

وإن قالوا : لا .

قيل لهم : فمن أكل جميع عمره الحرام فما رزقه الله شيئاً اغتذى به جسمه .

ويقال لهم : فإذا كان غيره يغتصب له ذلك الطعام ، ويطعمه إياه إلى أن مات ، فرازق هذا الانسان عندكم غير الله ، وفي هذا

إقرار منهم أن للخلق رازقين : أحدهما يرزق الحلال ، والآخر يزرق الحرام ، وأن الناس تنبت لحومهم وتشتد عظامهم ، والله غير رازق لهم ما اغتذوا به .

وإذا قلتم : إن الله لم يرزقه الحرام ، لزمكم أن الله لم يغذه به ، ولا جعله قواماً لجسمه ، وأن لحمه وجسمه قام ، وعظمه اشتد بغير الله عز وجل ، وهو ممَنْ رزقه الحرام ، وهذا كفر عظيم إن احتملوا .

١٣٠ - مسألة أخرى في الأرزاق

ويقال لهم : لم أبيتم أن يرزق الله الحرام ؟

فإن قالوا : لأنه لو رزق الحرام لَمَلَّكَ الحرام .

يقال لهم : خبرونا عن الطفل الذي يتغذى من لبن أمه ، وعن البهيمة التي ترعى الحشيش من يرزقهما ذلك ؟

فإن قالوا : الله .

قيل لهم : هل مَلَّكهما وهل للبهيمة مِلك ؟

فإن قالوا : لا

قيل لهم : فلم زعمتم أنه لو رزق الحرام لملك الحرام، وقد يرزق الله الشيء ولا يُمَلِّكُه؟

ويقال لهم : هل أقدر الله العبد على الحرام ولم يُمَلِّكه إياه ؟

فإن قالوا : نعم . يقال لهم : فما أنكرتم أن يرزقه الحرام ، وإن لم يملكه إياه .

١٣١ ـ جواب

يقال لهم : إذا كان توفيق المؤمنين بالله فما أنكرتم أن يكون خذلان الكافرين من قبل الله ، وإلا فإن زعمتم أن الله وفق الكافرين للإيمان ، فقولوا: عصمهم من الكفر ، وكيف يعصمهم من الكفر وقد وقع الكفر منهم ، فإن أثبتوا أن الله خذلهم قيل لهم : فالخذلان من الله، أليس هو الكفر الذي خلقه فيهم ؟

فإن قالوا : نعم وافقوا .

وإن قالوا : لا

قيل لهم : فما ذلك الخذلان الذي خلقه ؟

فإن قالوا : تَخْلَيته إياهم والكفر .

قيل لهم : أوليس من قولكم إن الله عز وجل خلاً بين المؤمنين وبين الكفر ؟

فإن قالوا : نعم

قيل لهم : فإذا كان الخذلان التخلية بينهم وبين الكفر ، فقد لزمكم أن يكون خذل المؤمنين لأنه خلّى بينهم وبين الكفر ، وهذا خروج عن الدين ، فلا بد لهم أن يثبتوا لهم الخذلان للكفر الذي خلقه الله فيهم ، فيتركوا القول بالقدر .

١٣٢ ـ مسألة

إن سأل سائل من أهل القدر ، فقال : هل يخلو العبد من أن يكون بين نعمة يجب عليه أن يشكر الله عليها ، أو بلية يجب عليه الصبر عليها .

قيل له : العبد لا يخلو من نعمة وبلية ، والنعمة يجب على العبد أن يشكر الله عليها ، والبلايا على ضربين :

منها ما يجب الصبر عليها كالأمراض والأسقام وما أشبه ذلك .

ومنها ما يجب عليه الاقلاع عنها كالكفر والمعاصي .

١٣٣ ـ مسألة

وإن سألوا فقالوا : أيما خَيْرٌ ، الخيرُ أو مَنْ الخير منه ؟

قيل لهم : من كان الخير منه متفضلاً به فهو خير من الخير .

فإن قالوا : فأيما شَرٌ ، الشرُّ أو مَنْ الشَرُّ منه ؟

قيل لهم : من كان الشر منه جائراً به فهو شر من الشر ، والله عز وجل يكون منه الشر خَلْقاً وهو عادل به ، فلذلك لا يلزمنا ما سألتم عنه على أنكم ناقضون لأصولكم ، لأنه إن كان من كان الشر منه فهو شر من الشر ، وقد خلق الله عز وجل ابليس الذي هو شر من الشر الذي يكون منه ، فقد خلق ما هو شر من الشرور كلها ، وهذا نقض دينكم وفساد مذهبكم .

١٣٤ - مسألة في الهدى

يقال للمعتزلة : أليس قد قال الله عز وجل :﴿ آلم *ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدَىً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة : ١ ـ ٢] فأخبر أن القرآن هدى للمتقين ؟ فلا بد من نعم .

فيقال لهم : أوليس قد ذكر الله عز وجل القرآن فقال : ﴿ وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ﴾ [فصلت : ٤٤] فخبر أن القرآن على الكافرين عمى ؟ فلا بد من نعم .

ويقال لهم : فهل يجوز أن يكون من أخبر الله عز وجل أن القرآن له هدى هو عليه عمى ؟ فلا بد من لا .

فيقال لهم : فكما لا يجوز أن يكون القرآن عمى على من أخبر الله أنه له هدى ، كذلك لا يجوز أن يكون القرآن هدى لمن أخبر الله أنه عليه عمى .

١٣٥ ـ مسألة أخرى

ثم يقال لهم : إذا جاز أن يكون دعاء الله إلى الإيمان هدى لمن قَبِلَ ولمن لم يَقْبَل فما أنكرتم دعاء إبليس إلى الكفر إضلالاً لمن قَبِل ولمن لم يَقْبَل فإن كان دعاءُ ابليس إلى الكفر إضلالاً للكافرين الذين قبلوا عنه دون المؤمنين الذين لم يقبلوا عنه ، فما أنكرتم أن دعاء الله عز وجل إلى الإيمان هدى للمؤمنين الذين قبلوا عنه دون الكافرين الذين لم يقبلوا عنه ، وإلا فما الفرق بين ذلك ؟

١٣٦ ـ مسألة أخرى

ويقال لهم : أليس قال الله عز وجل : ﴿ يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً ﴾ [البقرة : ٢٦] فهل يدل قوله ﴿ يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً ﴾ على أنه لم

يضل الكل ، لأنه لو أراد الكل لقال يضل به الكل ، فلما قال : ﴿ يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً ﴾ علمنا أنه لم يضل الكل ؟ فلا بد من نعم .

فيقال لهم : فما أنكرتم أن قوله ﴿ وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً ﴾ [البقرة : ٢٦] دليل على أنه لم يرد الكل، لأنه لو أراد الكل لقال ويهدي به الكل ، فلما قال : ﴿ وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً ﴾ علمنا أنه لم يهد الكل ، وفي هذا إبطال قولكم : إن الله هدى الخلق أجمعين .

١٣٧ - مسألة أخرى

ويقال لهم : إذا قلتم: إن دعاء الله إلى الايمان هدى للكافرين الذين لم يقبلوا عن الله أمره ، فما أنكرتم أن يكون دعاء الله إلى الايمان نفعاً وصلاحاً وتسديداً للكافرين الذين لم يقبلوا عن الله أمره ، وما أنكرتم أن يكون عصمة لهم من الكفر ، ، وإن لم يكونوا من الكفر معتصمين ، وأن يكون توفيقاً للإيمان ، وإن لم يوفقوا للإيمان ، وفي هذا ما يجب أن الله سدد الكافرين وأصلحهم وعصمهم ووفقهم للإيمان ، وإن كانوا كافرين ، وهذا مما لا يجوز ، لأن الكافرين مخذولون ، وكيف يكونون موفقين للإيمان وهم مخذولون؟ فإن جاز أن يكون الكافر

موفقاً للإيمان ، فما أنكرتم أن يكون الإيمان له متفقاً ، فإن استحال هذا فما أنكرتم أن يستحيل ما قلتموه .

١٣٨ - مسألة في الضلال

يقال لهم : هل أضل الله الكافرين عن الإيمان أو عن الكفر ؟

فإن قالوا : عن الكفر .

قيل لهم : فكيف يكونون ضالين عن الكفر ذاهبين عنه وهم كافرون ؟

وإن قالوا : أضلهم عن الإيمان تركوا قولهم .

وإن قالوا : نقول إن الله أضلهم ولم يضلهم عن شيء .

قيل لهم : ما الفرق بينكم وبين من قال : إن الله هدى المؤمنين لا إلى شيء ؟

فإن استحال أن يهدي المؤمنين لا إلى الايمان ، فما أنكرتم من أنه محال أن يضل الكافرين لا عن الايمان .

١٣٩ - مسألة أخرى

ويقال لهم : ما معنى قول الله عز وجل : ﴿ وَيُضِلُّ اللهُ

الظالِمِينَ ﴾ [ابراهيم : ٢٧] فإن قالوا : معنى ذلك أنه يسميهم ضالين ، ويحكم عليهم بالضلال .

قيل لهم : أليس خاطب الله العرب بلغتها ، فقال : ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ [الشعراء : ١٩٥] وقال : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾ [ابراهيم : ٤] ؟ فلا بد من نعم .

فيقال لهم : فإذا كان أنزل الله القرآن بلسان العرب ، فمن أين وجدتم في لغة العرب ، أن يقال أضل فلان فلاناً، أيَ سماه ضالاً ؟

فإن قالوا : وجدنا القائل يقول : إذا قال رجل لرجل : ضالٌّ: قد ضللته.

قيل لهم : قد وجدنا العرب يقولون : ضلل فلان فلاناً إذا سماه ضالاً . ولم نجدهم يقولون أضل فلان فلاناً بهذا المعنى ، فلما قال الله عز وجل : ﴿ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ ﴾ لم يجز أن يكون ذلك معنى ذلك الاسم ، والحكم إذا لم يجز في لغة العرب أن يقال : أضل فلان فلاناً إذا سماه ضالاً بطل تأويلكم إذا كان خلاف لسان العرب .

١٤٠ ـ مسألة أخرى

ويقال لهم : إذا قلتم : إن الله أضل الكافرين بأن سماهم ضالين ، وليس ذلك في اللغة على ما ادعيتموه ، فيلزمكم إذا سمى النبي صلى الله عليه وسلم قوماً ضالين فاسدين بأن يكون قد أضلهم وأفسدهم بأن سماهم ضالين فاسدين، وإذا لم يجز هذا بطل أن يكون معنى ﴿وَيُضِلُّ الله الظَّالِمِينَ﴾ الاسم والحكم كما ادعيتم .

١٤١ ـ مسألة أخرى

ويقال لهم : أليس قد قال الله تعالى : ﴿ مَن يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدْ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ [الكهف : ١٧] وقال عز وجل : ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ﴾ [آل عمران : ٨٦] فذكر أنه لا يهديهم وقال : ﴿ واللهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[يونس:٢٥] فجعل الدعاء عاماً والهدى خاصاً ، وقال ﴿لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٦٤] فإذا أخبر الله عز وجل أنه لا يهدي القوم الكافرين فكيف يجوز لقائل أن يقول إنه هدى

الكافرين ، مع إخباره أنه لا يهديهم ، ومع قوله : ﴿ إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَن أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص : ٥٦] ومع قوله ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَشَاء﴾ [البقرة : ٢٧٢] ومع قوله : ﴿وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ [السجدة : ١٣] وإن جاز هذا جاز أن يقال : أضل المؤمنين مع قوله : ﴿مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ [الاسراء: ٩٧] ومع قوله : ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة : ٢] فإن لم يكن ذلك فما أنكرتم أنه لا يجوز أن يهدي الكافرين مع قوله ﴿لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[البقرة :٢٦٤]ومع سائر الآيات التي طالبناكم بها .

١٤٢ ـ مسألة

ويقال لهم : أليس قد قال الله عز وجل : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَن اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غَشَاوَةً ﴾ [الجاثية : ٢٣] فلا بد من نعم .

فيقال لهم : فأضلهم ليضلوا أو ليهتدوا ؟

فإن قالوا : أضلهم ليهتدوا .

قيل لهم : وكيف يجوز أن يضلهم ليهتدوا ، وإن جاز هذا جاز أن يهديهم ليضلوا . وإذا لم يجز أن يهدي المؤمنين ليضلوا فما أنكرتم من أنه لا يجوز أن يضل الكافرين ليهتدوا.

١٤٣ ـ مسألة

ويقال لهم : إذا زعمتم أن الله هدى الكافرين فلم يهتدوا ، فما أنكرتم أنه تعالى ينفعهم فلا ينتفعون ، وأنه يصلحهم فلا ينصلحون ، وإذا جاز أن ينفع من لا ينتفع بنفعه فما أنكرتم من أنه يضر من لا تلحقه المضرة ، فإن كان لا يضر إلا من يلحقه الضرر ، فكذلك لا ينفع إلا منتفعاً ، ولو جاز أن ينفع من ليس منتفعاً جاز أن يقدر من ليس مقتدراً، وإذا استحال ذلك استحال أن ينفع من ليس منتفعاً ، ويهدي من ليس مهتدياً .

١٤٤ ـ مسألة

مسألة تسألوننا عنها: تقولون: أليس قد قال الله عز وجل: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنَ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ ﴾ [البقرة : ١٨٥] فما أنكرتم أن يكون القرآن هدى للكافرين والمؤمنين .

قيل لهم : الآية خاصة ، لأن الله عز وجل قد بين لنا أنه هدى للمتقين ، وأخبرنا أنه لا يهدي الكافرين ، والقرآن لا يتناقض ، فوجب أن يكون قوله : ﴿ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ أراد المؤمنين دون الكافرين .

١٤٥ ـ مسألة

فإن قال قائل : أليس قد قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ ﴾ [يس : ١١] وقال : ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا ﴾ [النازعات : ٤٥] وقد أنذر النبي صلى الله عليه وسلم من اتبع الذكر ومن لم يتبع ، ومن خشي ومن لم يخش ؟

قيل له : نعم .

فإن قالوا : فما أنكرتم أن يكون قوله : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ أراد به هدى لهم ولغيرهم .

قيل لهم : إن معنى قول الله عز وجل : ﴿إِنَّما تُنْذِرُ من اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ [يس:١١] إنما أراد به ينتفع بانذارك من اتبع الذكر ، وقوله : ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا ﴾ أراد أن الانذار ينتفع به من يخشى الساعة ويخاف العقوبة فيها ، وإن الله عز وجل قد أخبر في موضع آخر من القرآن أنه أنذر الكافرين فقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة : ٦] وهذا هو خبر عن الكافرين وقال : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء : ١١٤] وقال : ﴿ أَنْذَرْتُكُم صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ [فصلت : ١٣] وهذا خطاب للكافرين ، فلما أخبر الله عز وجل في آيات من

القرآن أنه أنذر الكافرين ، كما أخبر الله في آيات أنه أنذر من يخشاها ، وأنذر من اتبع الذكر ، وجب بالقرآن أن الله قد أنذر المؤمنين والكافرين ، فلما أخبرنا الله أنه هدى للمتقين وعمىً على الكافرين ، وأخبرنا أنه لا يهدي الكافرين وجب أن يكون القرآن هدى للمؤمنين دون الكافرين .

١٤٦ - مسألة

إن سأل سائل عن قول الله عز وجل : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ ﴾ [فصلت : ١٧] فقال : أليس ثمود كانوا كافرين ، وقد أخبر الله أنه هداهم ؟

قيل له : ليس الأمر كما ظننت .

والجواب في هذه الآية على وجهين :

أحدهما ـ أن ثمود على فريقين: كافرين ومؤمنين ، وهم الذين أخبر أنه أنجاهم مع صالح بقوله عز وجل : ﴿ نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ﴾ [هود : ٦٦] فالذين عنى الله عز وجل من ثمود أنه هداهم هم المؤمنون دون الكافرين ، لأن الله عز وجل قد بيّن لنا في القرآن أنه لا يهدي الكافرين ، والقرآن لا يتناقض بل يصدق بعضه بعضاً ، فإذا أخبرنا في

موضع أنه لا يهدي الكافرين ، ثم أخبر في موضع أنه هدى ثمود ، علمنا أنه إنما أراد المؤمنين من ثمود دون الكافرين .

والوجه الآخر ـ أن الله عز وجل عنى قوماً من ثمود كانوا مؤمنين ، ثم ارتدوا ، فأخبر أنه هداهم فاستحبوا بعد الهداية الكفر على الايمان ، وكانوا في حال هداهم مؤمنين .

فإن قال قائل معترضاً في الجواب الأول : كيف يجوز أن يقول : ﴿ فَهَدَيْنَاهُم ﴾ ويعني المؤمنين من ثمود ، ويقول : ﴿ فَاسْتَحَبُّوا ﴾ يعني الكافرين منهم وهم غير مؤمنين ؟

يقال له : هذا جائز في اللغة التي ورد بها القرآن أن يقول ﴿ فَهَدَيْنَاهُم ﴾ ويعني المؤمنين من ثمود ، ويقال : ﴿ فَاسْتَحَبُوا ﴾ يعني الكافرين منهم . وقد ورد القول بمثل هذا ، قال الله عز وجل : ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِم ﴾ [الأنفال :٣٣] يعني الكافرين ، ثم قال : ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال : ٣٣] يعني المؤمنين ، ثم قال ﴿ وَمَا لَهُم أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللهُ ﴾ [الأنفال : ٣٤] يعني الكافرين ، ولا خلاف عند أهل اللغة في جواز الخطاب بهذا أن يكون ظاهره لجنس ، والمراد به جنسان ، فبطل ما اعترض به المعترض ، ودل على جهله .

الباب الثاني عشر
ذكر الروايات في القدر

روى معاوية بن عمرو، قال: حدثنا زائدة، قال: حدثنا سليمان الأعمش، عن زيد بن وهب، عن عبد الله بن مسعود، قال: أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو الصادق المصدوق -: «إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه في أربعين ليلة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله الملك، قال: فيؤمر بأربع كلمات، يقال: اكتب أجله ورزقه وعمله وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، قال: فإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل عمل أهل النار، فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها»[٣٧].

---

(٣٧) اخرجه البخاري ٦/٢٢٠ في بدء الخلق: باب ذكر الملائكة و٦/٢٦٢ في الأنبياء: باب =

وروى معاوية بن عمرو ، قال : حدثنا زائدة عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « احتج آدم وموسى ، قال موسى : يا آدم أنت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه ، أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة ، قال : فقال آدم : أنت موسى الذي اصطفاك الله بكلماته ، تلومني على عمل كتبه الله عليَّ قبل أن يخلق السموات قال : فحج آدم موسى »[٣٨] .

وروى حديث « حج ادم موسى » : مالك ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم* .

وهذا يدل على بطلان قول القدرية الذين يقولون : إن الله عز وجل لا يعلم الشيء حتى يكون ، لأن الله عز وجل إذا كتب

= خلق آدم و٤١٦/١١ ـ ٤٢٩ في القدر: باب رقم ١، ومسلم رقم (٢٦٤٣) في القدر: باب كيفية خلق الآدمي ، والترمذي رقم (٢١٣٨) في القدر باب الأعمال بالخواتيم ، وأبو داود رقم (٤٧٠٨) في السنة باب في القدر ، وابن ماجة رقم ٧٦ في المقدمة : باب في القدر وأحمد في « المسند » ٣٨٢/١ ، ٤١٤ ، ٤٣٠ .

(٣٨) أخرجه البخاري ٣٢٩/٨ في التفسير : باب تفسير سورة طه ﴿ واصطفيتك لنفسي ﴾ و٤٤١/١١ في القدر: باب تحاج آدم وموسى ، و٣٩٨/١٣ في التوحيد: باب ﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾ ومسلم رقم (٢٦٥٢) في القدر: باب حجاج آدم وموسى وابو داود رقم (٤٧٠١) في السنة: باب في القدر، والترمذي رقم (٢١٣٥) في القدر: باب حجاج آدم وموسى، وابن ماجه رقم (٨٠) في المقدمة: باب في القدر.

(*) رواه مالك في «الموطأ» ٨٩٨/٢ في القدر: باب النهي عن القول بالقدر وإسناده صحيح.

ذلك وأمر بأن يُكْتب فلا يَكْتُبُ شيئاً لا يعلمه جل عن ذلك وتقدس . وقال الله عز وجل : ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ الاَّ يَعْلَمُها وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام : ٥٩] وقال : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إلاَّ عَلَىٰ اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَم مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴾ [هود : ٦] وقال : ﴿ أَحْصَاهُ اللهُ وَنَسُوهُ ﴾ [المجادلة : ٦] وقال : ﴿ لَّقَدْ أَحْصَاهُم وَعَدَّهُم عَدّاً ﴾ [مريم : ٩٤] وقال : ﴿ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمَاً ﴾ [الطلاق : ١٢] ﴿ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدَاً ﴾ [الجن : ٢٨] وقال : ﴿ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٩] فذلك يبين أنه يعلم الأشياء كلها .

وقد أخبر الله عز وجل أن الخلق يبعثون ويحشرون ، وأن الكافرين في النار يخلدون . وأن الأنبياء والمؤمنين في الجنان يدخلون ، وأن القيامة تقوم ، ولم تقم القيامة بعدُ ، فذلك يدل على أن الله تعالى يعلم ما يكون قبل أن يكون . وقد قال الله في أهل النار : ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ﴾ [الأنعام : ٢٨] فأخبر عما لا يكون أن لو كان كيف يكون .

وقال ﴿ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَىٰ * قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي في

كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلاَ يَنْسَىٰ ﴾ [طه : ٥١ ـ ٥٢] ومن لا يعلم الشيء قبل كونه لا يعلمه بعد تقضيه ، تعالى عن قول الظالمين علواً كبيراً .

وروى معاوية بن عمرو ، قال : حدثنا زائدة ، عن سليمان الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى . عن عبد الله بن ربيعة ، قال : كنا عند عبد الله ، قال : فذكروا رجلاً فذكروا من خُلُقه ، فقال القوم : أما له من يأخذ على يديه ؟ قال عبد الله : أرأيتم لو قطع رأسه أكنتم تستطيعون أن تجعلوا له يداً ؟ قالوا : لا ، قال عبد الله : إن النطفة إذا وقعت في المرأة مكثت أربعين يوماً ، ثم انحدرت دماً ، ثم تكون علقة مثل ذلك ، ثم تكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكًا فيقول: اكتب أجله وعمله ورزقه وأثره وخلقه وشقي أو سعيد ، وانكم لن تستطيعوا تغيروا خَلْقَهُ حتى تغيروا خُلُقَهُ(٣٩).

وروى معاوية بن عمرو ، قال : حدثنا زائدة عن منصور ، سعد بن عبيدة ، عن أبي عبد الرحمن ، عن علي رضي الله عنه،

---

(٣٩) وهو موقوف على عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وقد جاء حديث النطفة والعلقة والمضغة وكتابة أجله ورزقه وعمله وشقي أو سعيد، في المرفوع عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، رواه البخاري ٢٢٠/٦ و ٢٢٦/٦ و ٢/١١ ومسلم رقم (٢٦٤٣) وقد جاء بمعنى الحديث الذي ساقه المؤلف هنا في أوله وآخره عند أحمد ٤٤٣/٦ من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

قال : كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقعد ونحن حوله ، ومعه مخصرة له فنكت بها ورفع رأسه ، فقال صلى الله عليه وسلم : « ما منكم من نفس منفوسة إلا قد كتب مكانها من الجنة أو النار ، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة ، فقال رجل من القوم : يا رسول الله أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل ؟ فمن كان من أهل السعادة يصير الى السعادة ، ومن كان من أهل الشقاوة فيصير الى الشقاوة ، فقال : « اعملوا فكل ميسر . أما أهل الشقاوة فميسرون لعمل الشقاوة ، وأما أهل السعادة فميسرون لعمل السعادة ، ثم قال : ﴿ فَأَمَّا مَن أَعطَى وَاتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ [الليل ـ ٥ ـ ١٠][٤٠].

وروى موسى بن إسماعيل قال : حدثنا حماد ، قال : أنا هشام بن عروة ، عن عروة ، عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة ، وإنه

---

(٤٠) البخاري ١٧٩/٣ في الجنائز : باب موعظة المحدث عند القبر . و مسلم رقم (٢٦٤٧) في القدر : باب كيفية الخلق . والترمذي (٣٣٤١) في التفسير : باب ومن سورة الليل وابن ماجه (٧٨) في المقدمة : باب في القدر .

مكتوب في الكتاب من أهل النار ، فإذا كان قبل موته تحول فعمل بعمل أهل النار ، فمات فدخل النار ، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار ،وإنه لمكتوب في الكتاب أنه من أهل الجنة ،فإذا كان قبل موته تحول فعمل بعمل أهل الجنة، فمات فدخل الجنه»[٤١].

وهذه الأحاديث تدل على أن الله عز وجل علم ما يكون أنه يكون وكتبه ، وأنه قد كتب أهل الجنة وأهل النار ، وخلقهم فريقين : فريقاً في الجنة وفريقاً في السعير ، وبذلك نطق كتابه إذ يقول : ﴿ فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ﴾ [الأعراف : ٣٠] وقال : ﴿ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ [الشورى : ٧] وقال : ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ [هود : ١٠٥] فخلق الله الأشقياء للشقاوة والسعداء للسعادة ، وقال عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ ﴾ [الأعراف : ١٧٩]

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل خلق للجنة أهلاً وللنار أهلاً » [٤٢] .

---

(٤١) رواه أحمد في « المسند » ١٠٧/٦ ـ ١٠٨ وهو حديث صحيح

(٤٢) أخرجه مسلم رقم (٢٦٦٢) في القدر : باب معنى « كل مولود يولد على الفطرة » وابو داود رقم (٤٧١٣) في السنة : باب في ذراري المشركين . والنسائي ٥٧/٤ . في الجنائز : باب الصلاة على الصبيان . وابن ماجة (٨٢) في المقدمة : باب في القدر .

١٤٧ ـ دليل في القدر

﴿ وَإِذَا أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِم ذُرِّيَّتَهُم ﴾ الآية . [الأعراف: ١٧٢] .

وقد جاءت الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل مسح ظهر آدم فأخرج ذريته من ظهره ، كأمثال الذر ، ثم قررهم بوحدانيته ، وأقام الحجة عليهم »(٤٣) ، لأنه قال : ﴿ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ﴾ قال الله عز وجل : ﴿ أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف : ١٧٢] فجعل تقريرهم بوحدانيته لما أخرجهم من ظهر آدم حجة عليهم إذا أنكروا في الدنيا ما كانوا عرفوه في الذر الأول ، ثم من بعد الاقرار جحدوه .

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قبض قبضة للجنة ، وقبض قبضة للنار ، ميز بعضاً من بعض ، فغلبت الشقوة على أهل الشقوة والسعادة على أهل السعادة ، قال الله عز وجل

---

(٤٣) رواه مالك في « الموطأ » ٨٩٨/٢ ، والترمذي رقم (٣٠٧٧) والحاكم ٢٧/١ من حديث مسلم بن يسار عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر رضي الله عنه فهو منقطع ، وله شاهد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بمعناه عند أحمد ٢٧٢/١ والحاكم ٢٧/١ و ٢٨ وصححه ووافقه الذهبي ، ورجح ابن كثير رحمه الله في « تفسيره » حديث ابن عباس أنه موقوف عليه ، وانظر « تفسيره » ٢٦١/٢ ـ ٢٦٤ .

مخبراً عن أهل النار أنهم قالوا : ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴾ [المؤمنون : ١٠٦] وكل ذلك بأمر قد سبق في علم الله عز وجل ، ونفذت فيه إرادته ، وتقدمت فيه مشيئته .

وروى معاوية بن عمرو ، قال : حدثنا زائدة ، قال : حدثنا طلحة بن يحيى القرشي ، قال : حدثتني عائشة بنت طلحة ، عن عائشة أم المؤمنين أن النبي صلى الله عليه وسلم دُعِيَ إلى جنازة غلام من الأنصار ليصلي عليه ، فقالت عائشة : طوبى لهذا يا رسول الله! عصفور من عصافير الجنة لم يعمل سوءاً ولم يدركه ؟ قال : « أوغير ذلك يا عائشة ! إن الله عز وجل قد جعل للجنة أهلاً وهم في أصلاب آبائهم ، وللنار أهلاً جعلهم لها وهم في أصلاب آبائهم »(٤٤) وهذا يبين أن السعادة قد سبقت لأهلها ، والشقاء قد سبق لأهله . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اعملوا فكل ميسر لما خلق له »(٤٥) .

١٤٨ ـ دليل آخر

وقد قال الله عز وجل : ﴿ مَن يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن

---

(٤٤) أخرجه مسلم رقم (٢٦٦٢) (٣١) في القدر : باب معنى كل مولود يولد على الفطرة .
(٤٥) تقدم تخريجه صفحة ١٧١ تعليق رقم ٤٠ .

يُضَلِلْ فَلَن تَجِدُ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ [الكهف : ١٧] وقال : ﴿ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ﴾ [البقرة : ٢٦] فأخبر أنه يضل ويهدي، وقال : ﴿ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ الله مَا يَشَاءُ ﴾ [ابراهيم : ٢٧] فأخبرنا أنه فعال لما يريد ، وإذا كان الكفر مما أراده فقد فعله وقدره وأحدثه وأنشأه واخترعه ، وقد بيّن ذلك بقوله : ﴿ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ * وَالله خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات : ٩٥ ـ ٩٦] فلو كانت عبادتهم للأصنام من أعمالهم كان ذلك مخلوقاً لله ، وقد قال الله تعالى : ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأحقاف : ١٤] يريد أنه يجازيهم على أعمالهم ، فكذلك إذا ذكر عبادتهم للأصنام وكفرهم بالرحمن ، ولو كان مما قدروه وفعلوه لأنفسهم لكانوا قد فعلوا وقدروا ما خرج عن تقدير ربهم وفعله ، وكيف يجوز أن يكون لهم من التقدير والفعل والقدرة ما ليس لربهم ؟ من زعم ذلك فقد عَجَّز الله عز وجل ، تعالى عن قول المعجِّزين له علواً كبيراً .

ألا ترى أن من زعم أن العباد يعلمون ما لا يعلمه الله عز وجل ، فكأنه قد أعطاهم من العلم ما لم يدخل في علم الله وجعلهم لله نظراء ، فكذلك من زعم أن العباد يفعلون وَيَقْدِرُون

على ما لم يقدر عليه ، فقد جعل لهم من السلطان والقدرة والتمكن ما لم يجعله للرحمن ، تعالى الله عن قول أهل الزور والبهتان والإفك والطغيان علواً كبيراً .

١٤٩ ـ مسألة

ويقال لهم : هل فِعْلُ الكافِرِ الكفر فاسداً باطلاً متناقضاً ؟

فإن قالوا : نعم

قيل لهم : وكيف يفعله فاسداً متناقضاً قبيحاً وهو يعتقده حسناً صحيحاً أفضل الأديان ؟ وإذا لم يجز ذلك، لأن الفعل لا يكون فعلاً على حقيقته إلا ممن علمه على ما هو عليه من حقيقته ، كما لا يجوز أن يكون فعلاً ممن لم يعلمه فعلاً ، فقد وجب أن الله عز وجل هو الذي قدر الكفر وخلقه كفراً فاسداً باطلاً متناقضاً ، خلافاً للحق والسداد .

* * *

الباب الثالث عشر
الكلام في الشفاعة والخروج من النار

١٥٠ ـ مسألة

ويقال لهم : قد أجمع المسلمون أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم شفاعة . فلمن الشفاعة أهي للمذنبين المرتكبين الكبائر أو للمؤمنين المخلصين ؟

فإن قالوا : للمذنبين المرتكبين الكبائر وافقوا ، وإن قالوا : للمؤمنين المبشرين بالجنة الموعودين بها .

قيل لهم : فإذا كانوا بالجنة موعودين وبها مبشرين ، والله عز وجل لا يخلف وعده فما معنى الشفاعة لقوم لا يجوز عندكم أن لا يدخلهم الله جناته ؟ وما معنى قولكم قد استحقوها على الله واستوجبوها عليه ؟ وإذا كان الله عز وجل لا يظلم مثقال ذرة ، كان تأخيرهم عن الجنة ظلماً ، وإنما يشفع الشفعاء إلى الله عز وجل في أن لا يظلم على مذهبكم ، تعالى الله عن افترائكم عليه علواً كبيراً .

فإن قالوا : يشفع النبي صلى الله عليه وسلم إلى الله عز وجل

في أن يزيدهم من فضله ، لا في أن يدخلهم جناته .

قيل لهم : أوليس قد وعدهم الله ذلك ؟ فقال : ﴿ يوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله ﴾ والله عز وجل لا يخلف وعده ، فإنما يشفع إلى الله عز وجل عندكم في أن لا يخلف وعده ، وهذا جهل من قولكم ، وإنما الشفاعة المعقولة فيمن استحق عقاباً أن يوضع عنه عقابه ، أو في من لم يعده شيئاً أن يتفضل به عليه ، فأما إذا كان الوعد بالتفضل سابقاً فلا وجه لهذا .

١٥١ ـ مسألة

فإن سألوا عن قول الله عز وجل : ﴿ وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنْ ارْتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء : ٢٨]

فالجواب عن ذلك : إلا لمن ارتضى فهم يشفعون له .

وقد روي أن شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأهل الكبائر .(٤٦)

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم « أن المذنبين يخرجون من النار »(٤٧) .

---

(٤٦) رواه ابو داود رقم (٤٧٣٩) في السنة : باب في الشفاعة والترمذي رقم (٢٤٣٧) (٢٤٣٨) في الزهد : باب رقم ١٢ وأحمد في « المسند » وابن حبان والحاكم عن أنس رضي الله عنه والترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما . وهو حديث صحيح .

(٤٧) تقدم تخريجه ص ٢٣ تعليق رقم (١٠)

الباب الرابع عشر
الكلام في الحوض

وأنكرت المعتزلة الحوض ، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه كثيرة ، وروي عن أصحابه بلا خلاف ، وروى عفان ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن الحسن ، عن أنس بن مالك أنه ذُكِرَ الحوض عند عبيد الله بن زياد فأنكره ، فبلغ أنساً ، فقال : لا جرم والله لأفعلن به ، قال : فأتاه ، فقال : ما ذكرتم من الحوض ، قال عبيد الله : هل سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يذكره ، قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من كذا وكذا مرة يقول « ما بين طرفيه ـ يعني الحوض ـ ما بين أيلة ومكة ، أو ما بين صنعاء ومكة ، وان آنيته أكثر من نجوم السماء »[٤٨] .

---

(٤٨) رواه أحمد في « المسند » ٣/٢٣٠ من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه ، وفي سنده =

وروى أحمد بن عبدالله بن يونس، قال : حدثنا ابن أبي زائدة، عن عبدالملك بن عمير، عن جندب بن سفيان، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «أنا فرطكم على الحوض »[٤٩] في أخبار كثيرة .

* * *

= علي بن زيد بن جدعان ، وهو ضعيف ، ولبعضه شاهد من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عند أحمد في « المسند » ١٦٢/٢ ومن حديث ثوبان عند عبد الرزاق .

(٤٩) ورواه أيضاً البخاري ٤١٤/١١ في الرقاق : باب في الحوض ، ومسلم رقم (٢٢٨٩) في الفضائل : باب إثبات حوض نبينا ﷺ .

الباب الخامس عشر
الكلام في عذاب القبر

وأنكرت المعتزلة عذاب القبر . وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه كثيرة ، وروي عن أصحابه رضي الله عنهم ، وما روي عن أحد منهم أنه أنكره ونفاه وجحده ، فوجب أن يكون إجماعاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .

وروى أبو بكر بن أبي شيبة ، قال : حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «تعوذ بالله من عذاب القبر»(٥٠) .

وروى أحمد بن اسحاق الحضرمي ، قال : حدثنا وهيب ، قال : حدثنا موسى بن عقبة ، قال : حدثتني أم خالد بنت

---

(٥٠) وهو حديث صحيح . وقد رواه مسلم رقم (٥٥٨) (١٣٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . قال : قال رسول الله ﷺ : « عوذوا بالله من عذاب القبر » . وعند مسلم أيضاً « إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع . يقول : اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم . ومن عذاب القبر ... » وفي رواية له « إذا فرغ أحدكم من التشهيد فليتعوذ بالله من أربع ... » .

وفي « الصحيحين » عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يدعو ويقول : « اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ... » .

خالد بن سعيد بن العاص ، أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم « يتعوذ من عذاب القبر »[٥١] . وروى أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لولا أن لا تدافنوا لسألت الله عز وجل أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمعني»[٥٢].

١٥٢ ـ دليل آخر

ومما يبين عذاب الكافرين في القبور قول الله عز وجل : ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ العَذَاب ﴾ [غافر : ٤٦] فجعل عذابهم يوم تقوم الساعة بعد عرضهم على النار في الدنيا غدواً وعشياً ، وقال : سنعذبهم مرتين ، مرة بالسيف ومرة في قبورهم ، ثم يردون الى عذاب غليظ في الآخرة .

وأخبر الله عز وجل أن الشهداء في الدنيا يرزقون ويفرحون بفضل الله ، قال عز وجل : ﴿ وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِن

---

(٥١) ورواه أيضاً أحمد فى « المسند » ٣٦٤/٦ و٣٦٥ وهو حديث صحيح . ورواه مسلم رقم (٥٨٨) (١٣٣) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ « أنه كان يتعوذ من عذاب القبر »

(٥٢) رواه مسلم (٢٨٦٧) في الجنة وصفة نعيمها ، باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار .

فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [آل عمران : ١٦٩] وهذا لا يكون إلا في الدنيا ، لأن الذين لم يلحقوا بهم أحياء لم يموتوا ولا قتلوا .

* * *

اَلبَابُ السَّادِسُ عَشر

الكلام في إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِم وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِم أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ [النور : ٥٥] وقال عز وجل: ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[الحج:٤١].

وأثنى الله عز وجل على المهاجرين والأنصار والسابقين إلى الإسلام، وعلى أهل بيعة الرضوان ، ونطق القرآن بمدح المهاجرين والأنصار في مواضع كثيرة ، وأثنى على أهل بيعة الرضوان ، فقال عز وجل : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ الآية [الفتح : ١٨] .

قد أجمع هؤلاء الذين أثنى الله عليهم ومدحهم على إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وسموه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبايعوه وانقادوا له ، وأقروا له بالفضل ، وكان أفضل الجماعة في جميع الخصال التي يستحق بها الإمامة من العلم والزهد وقوة الرأي وسياسة الأمة وغير ذلك .

* * *

دليل آخر : من القرآن على إمامة الصديق رضي الله عنه .

وقد دل الله على إمامة أبي بكر في سورة ﴿ براءة ﴾ فقال للقاعدين عن نصرة نبيه صلى الله عليه وسلم والمتخلفين عن الخروج معه : ﴿ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ ابَدَاً وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا ﴾ [التوبة : ٨٣] وقال في سورة أخرى : ﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُم يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلاَمَ اللهِ ﴾ [الفتح : ١٥] يعني قوله : لن تخرجوا معي أبدا، ثم قال : ﴿ كَذَٰلِكُم قَالَ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسِدُونَنَا بَلْ كَانُوا لاَ يَفْقَهُونَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [الفتح : ١٥] وقال : ﴿ قُلْ لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ الله أَجْرَاً

حَسَنَاً وَإن تَتَوَلَّوا ﴾ يعني تعرضوا عن إجابة الداعي لكم إلى قتالهم﴿ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُم عَذَابَاً أَلِيمَاً ﴾[الفتح : ١٦] والداعي لهم إلى غير ذلك النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال الله عز وجل له﴿ فَقُلْ لَّنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدَاً وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوَّاً ﴾ [التوبة : ٨٣] وقال في سورة الفتح : ﴿ يُرِيدُون أَنْ يُبَدِّلُوا كَلاَمَ الله ﴾ فمنعهم عن الخروج مع نبيه صلى الله عليه وسلم وجعل خروجهم معه تبديلاً لكلامه فوجب بذلك أن الداعي الذي يدعوهم إلى القتال داع يدعوهم بعد نبيه صلى الله عليه وسلم

وقد قال الناس هم أهل فارس وقالوا ، أهل اليمامة فان كانوا أهل اليمامة فقد قاتلهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه ودعا إلى قتالهم ، وإن كانوا الروم ، فقد قاتلهم الصديق أيضاًوإن كانوا أهل فارس فقد قوتلوا في أيام أبي بكر ، وقاتلهم عمر من بعده ، وفرغ منهم ، وإذا وجبت إمامة عمر ، وجبت إمامة أبي بكر ، كما وجبت إمامة عمر ، لأنه العاقد له الإمامة ، فقد دل القرآن على إمامة الصديق والفاروق رضوان الله عليهما ، وإذا وجبت إمامة أبي بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وجب أنه أفضل المسلمين رضي الله عنه .

دليل آخر الإجماع على إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

ومما يدل على إمامة الصديق رضي الله عنه أن المسلمين جميعاً بايعوه وانقادوا لإمامته ، وقالوا له : يا خليفة رسول الله ، ورأينا علياً والعباس رضي الله عنهما بايعاه رضي الله عنه ، وأقرا له بالإمامة . وإذا كانت الرافضة يقولون : إن علياً هو المنصوص على إمامته ، والراوندية تقول : العباس هو المنصوص على إمامته ، ولم يكن في الناس في الإمامة إلا ثلاثة أقوال :

من قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم نص على إمامة الصديق ، وهو الإمام بعد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقول من قال نص على إمامة علي ، وقول من قال نص على امامة العباس.

وقول من قال هو أبو بكر الصديق هو بإجماع المسلمين والشهادة له بذلك ، ثم رأينا علياً والعباس قد بايعاه وأجمعا على إمامته ، فوجب أن يكون إماماً بعد النبي صلى الله عليه وسلم بإجماع المسلمين .

ولا يجوز لقائل أن يقول : كان باطن عليٍّ والعباس خلاف ظاهرهما ، ولو جاز هذا لمدِّعيه لم يصح إجماع ، ولجاز لقائل أن يقول ذلك في كل إجماع للمسلمين ، وهذا يسقط حجية

الإجماع ، لأن الله عز وجل لم يتعبَّدنا في الإجماع بباطن الناس ، وإنما تعبَّدنا بظاهرهم ، وإذا كان ذلك كذلك ، فقد حصل الإجماع والاتفاق على إمامة أبي بكر الصديق . وإذا ثبتت إمامة الصديق ثبتت إمامة الفاروق ، لأن الصديق نص عليه وعقد له الإمامة ، واختاره لها ، وكان أفضلهم بعد أبي بكر رضي الله عنهما ، وثبتت إمامة عثمان رضي الله عنه بعد عمر بعقد من عقد له الإمامة من أصحاب الشورى الذين نص عليهم عمر ، فاختاروه ورضوا بإمامته ، وأجمعوا على فضله وعدله ، وثبتت إمامة علي بعد عثمان رضي الله عنهما بعقد من عقد له من الصحابة من أهل الحل والعقد ، ولأنه لم يدع أحد من أهل الشورى غيره في وقته ، وقد أُجْمِعَ على فضله وعدله ، وأن امتناعه عن دعوى الأمر لنفسه في وقت الخلفاء قبله كان حقاً لعلمه أن ذلك ليس بوقت قيامه ، فلما كان لنفسه في غير وقت الخلفاء قبله، ثم لما صار الأمر إليه أظهر وأعلن ولم يقصر حتى مضى على السداد والرشاد، كما مضى مَنْ قبله من الخلفاء وأئمة العدل على السداد والرشاد متبعين لكتاب ربهم وسنة نبيهم.

هؤلاء الأئمة الأربعة المجمع على عدلهم وفضلهم رضي الله عنهم .

وقد روى شريح بن النعمان ، قال : حدثنا حشرج بن نباتة ، عن سعيد بن جمهان ، قال : حدثني سفينة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ، ثم ملك بعد ذلك » ثم قال لي سفينة : أمسك خلافة أبي بكر وخلافة عمر وخلافة عثمان ، ثم قال : أمسك خلافة علي بن أبي طالب ، قال : فوجدتها ثلاثين سنة »[٥٣] . فدل ذلك على إمامة الأئمة الأربعة رضى الله عنهم » .

فأما ما جرى بين علي والزبير وعائشة رضي الله عنهم

فإنما كان على تأويل واجتهاد ، وعلي الامام ، وكلهم من أهل الاجتهاد ، وقد شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة والشهادة ، فدل على أنهم كلهم كانوا على حق في اجتهادهم .

وكذلك ما جرى بين علي ومعاوية رضي الله عنهما كان على تأويل واجتهاد ، وكل الصحابة أئمة مأمونون غير مُتَّهمين في

---

(٥٣) رواه الترمذى رقم (٢٢٢٧) في الفتن . باب ما جاء في الخلافة . وأبو داود رقم (٤٦٤٦) و(٤٦٤٧) في السنة ، باب في الخلفاء ، وأحمد في «المسند» ٥ / ٢٢٠ وابن حبان في صحيحه رقم (١٥٣٤) و (١٥٣٥) في الامارة ، باب الخلافة ، والحاكم ٣/ ٧١ و ١٤٥ وهو حديث صحيح .

الدين ، وقد أثنى الله ورسوله على جميعهم ، وتعبَّدنا بتوقيرهم وتعظيمهم وموالاتهم والتبري من كل من ينقص أحداً منهم ، رضي الله عن جميعهم . قد قلنا في الاقرار قولاً وخبراً .

والحمد لله أولاً وآخراً .

* * *

تم الكتاب بعون الله الملك الوهاب وحسن توفيقه والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله واصحابه أجمعين .

فهرس الأحاديث والآثار

احتج آدم وموسى فقال: يا آدم ٢٠٢
اعملوا فكل ميسر لما خلق له ٢٠٨
إذا بقي ثلث الليل ينزل الله تبارك وتعالى فيقول ١٢٢
إذا مضى ثلث الليل نزل الله عز وجل إلى السماء فيقول ١٢٣
أفضلكم من تعلم القرآن وعمله ١٠٩
أن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن ٥٧
أن المذنبين يخرجون من النار ٢١٢
إن شئت أسمعتك ضغاءهم في النار ١٧٧
أنا الجبار، أنا الجبار، أنا الجبار، لمن الملك اليوم لله الواحد القهار . ١٠٩
أنا فرطكم على الحوض ٢١٤
إن أطفال المشركين تؤجج لهم النار ..... ٦٣، ١٧٧
إنَّ خلق أحدكم يجمع في بطن أمه في أربعين ليلة ٢٠١
إنَّ الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة وإنه لمكتوب في الكتاب من أهل النار ٢٠٦
إن العبد لا تزول قدماه من بين يدي الله عز وجل حتى يسأله عن عمله ١٢٧
إن الله عز وجل خلق للجنة أهلاً وللنار أهلاً ٢٠٦
إن الله عز وجل مسح ظهر آدم فأخرج ذريته من ظهره كأمثال الذر . ٢٠٧
إن فضل القرآن على سائر الكلام ..... ١٠٨، ١٠٩
إن القدرية مجوس هذه الأمة ..... ٣٦، ١٧٩
إن النطفة إذا وقعت في المرأة مكثت أربعين يوماً ٤٠
أو غير ذلك يا عائشة ٢٠٨
أين الله ... اعتقها فإنها مؤمنة ١٢٧
ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضارون في رؤيته ٧٤-٧٨

تعوذوا بالله من عذاب القبر ٢١٥
تفكروا في كل شيء ولا تفكروا في ذات الله ١٢٧
حديث خروج الدجال ٦١
حديث الشفاعة ٥٨
حديث المعراج ٦٢
الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك ٢٢٤
خلق الله آدم بيده فمسح ظهره بيده فاستخرج منه ذريته ١٣١
شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي ٢١٢
فضل كلام الله عز وجل على سائر الكلام كفضل الله على خلقه ١٠٧-١٠٨
فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ٦٦-٧٨
كلتا يديه يمين ١٣٢
لولا أن تدافنوا لسألت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمعني . ٢١٦
ما بين طرفيه ما بين أيلة ومكة ٢١٣
ما منكم من أحد إلا سيكلم الله ليس بينه وبينه ترجمان ١٠٨
ما منكم من نفس منفوسة إلا قد كتب مكانها ٢٠٥
ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ٦٦
نور أنى أراه ٧٥
هل من سائل ، هل من مستغفر ٦٠
لا تأكلني فإني مسمومة ٩٦
لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها ٧٤
لا وصية لوارث ٧٤
يتعوذ من عذاب القبر ٢١٦
يخرج قوماً من النار بعد أن امتحشوا فيها وصاروا حمماً ٣٧
يضع السموات على إصبع والأرضين على إصبع ٥٨
ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا ٣٨
ينزل الله عز وجل كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول هل من سائل فأعطيه ٢٢٢

فهرس الأعـــلام

آدم عليه السلام ١٣٤ ـ ١٣٥
إبراهيم عليه السلام ٩٠ ـ ٩١
إبراهيم بن أشعث ١٠٩
ابن أبي زائدة زكريا بن أبي زائدة
ابن عنبة أحمد بن علي بن عنبة
ابن أبي ليلى عبد الرحمن بن أبي ليلى
أبو بكر بن أبي شيبة عبدالرحمن بن محمد بن أبي شيبة
أبو بكر الصديق رضى الله عنه ٥٩ ـ ١٧٣ ـ ٢١٩ ـ ٢٢٠ ـ ٢٢١ ـ ٢٢٢ ـ ٢٢٣ ـ ٢٢٤
أبو بكر بن عياش ١١٠
أبو جعفر المؤذن ١٢٢
أبو الحسن الأشعري علي بن إسماعيل
أبو حنيفة (الإمام) النعمان بن ثابت
أبو الزناد عبد الله بن ذكوان
أبو سعيد الخدرى سعد بن مالك بن سنان
أبو سفيان وكيع بن الجراح الرؤاسي
أبو صالح ذكوان السمان
أبو عاصم النبيل الضحاك بن مخلد
أبو عبدالرحمن السلمي عبد الله بن حبيب
أبو عبيد القاسم بن سلام
أبو معاوية الضرير محمد بن خازم
أبو نُعَيْم الفضل بن دكين
أبو الهذيل العلاف محمد بن الهذيل

أبو هريرة عبدالرحمن بن صخر الدوسي
أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم القاضي
أحمد بن إسحاق الحضرمي ٢١٥
أحمد بن حنبل ٥٢ ـ ١٠٣ ـ ١٠٤
أحمد بن عبدالله الأصبهانى ١٠٥ ـ ١١٠
أحمد بن عبدالله بن يونس ٢١٤
أحمد بن علي بن عنبة ١٠٦
أحمد بن يونس ١١٠
إسحاق بن سليمان الرازي ١٠٨
إسماعيل بن أبي الحكم ١٠٦
الأعمش سليمان بن مهران
الأعرج عبد الرحمن بن هرمز
أم خالد بنت خالد سعيد بن العاص أمة بنت خالد
امرىء القيس ٦٧
أمة بنت خالد ٢١٥
الأشعث الحداني أشعث بن عبدالله بن جابر الحداني
أشعث بن عبد الله ١٠٨
أنس بن مالك ٢٢٣ ـ ٢٢٦

ب

بشر بن المفضل ١١٠
بني إسرائيل ٧٣

ت

تماضر بنت عمرو ٧٠

ث

ثمود ١٩٠ ـ ١٩٨

ج

جبريل عليه السلام ٨٦
جبير بن مطعم ١٢٢
جرير بن منصور ١٠٩
جعفر بن محمد ١١٠
جندب بن سفيان ٢١٤
الجراح بن الضحاك الكندي ١٠٨
الحجاج ٦١

ح

الحسن ٢١٣
الحسين عبد الأول ١٠٧
حشرج بن نباتة ٢٢٤
حفص بن غياث ٦١
حماد بن أبي سليمان ١٠٥ ـ ١٠٦ ـ ١٠٧
حماد بن سلمة ١٠٨ ـ ١١٠ ـ ١٢٢ ـ ٢٠٥ ـ ٢٢٣

خ

خباب بن الأرت ١٠٩
خيثمة ١٠٨
الخنساء تماضر بنت عمرو

ذ

ذكوان السمان ٢٠٢ ـ ٢١٥

ر

رفاعة الجهمي ١٢٣

ز

زائدة بن قدامة الثقفي ١٩٩ ـ ٢٠١ ـ ٢٠٢ ـ ٢٠٤ ـ ٢٠٨

زكريا بن أبي زائدة ٢١٤
زيد بن علي ١١٠
زيد بن وهب ٢٠١
الزبير بن العوام ٢٢٤

س

سعد بن عامر ١١٠
سعد بن عبيدة ٢٠٤
سعد بن مالك بن سنان ١٠٧
سعيد بن جمهان ٢٢٤
سفيان بن عيينة ١١٠
سفيان بن وكيع ١٠٥
سفيان الثوري ١٠٥ ـ ١٠٩ ـ ١١٠
سفينة (مولى رسول الله ﷺ) ٢٢٤
سليمان بن حرب ١٠٧
سليمان بن داود ١١٠
سليمان بن عيسى القاري ١٠٥
سليمان بن مهران ١٠٨ ـ ٢٠١ ـ ٢٠٢ ـ ٢٠٤

ش

شريح بن النعمان ٢٢٤
شعيب عليه السلام ٣٥
شهر بن حوشب ١٠٨
الشافعي محمد بن ادريس

ص

صالح عليه السلام ١٩٨

ط

طلحة بن يحيى القرشي ٢٠٨

ع

عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها ٢٠٥ ـ ٢٠٨ ـ ٥٤
عائشة بنت طلحة ٢٠٨
عبد الرحمن بن أبي ليلى ٦٠١ ـ ٢٠٤
عبد الرحمن بن صخر الدوسي ١٢٢ ـ ٢٠٢ ـ ٢١٥
عبد الرحمن بن مهدي ١١٠
عبد الرحمن بن هرمز ٢٠٢
عبد العزيز بن أبي سلمة ١١٠
عبد الله بن بكر السهمي ١٢٣
عبد الله بن بكر ١٢٢
عبد الله بن حبيب ١٠٨ ـ ٢٠٤
عبد الله بن داود ١١٠
عبد الله بن ذكوان ٢٠٢
عبد الله بن ربيعة ٢٠٤

عبد الله بن عباس ١٠٩ ـ ١٢٦
عبد الله بن عمر ٦١
عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ٢١٥
عبد الله بن مسعود ٢٠١
عبد الله بن المبارك ١٠٥ ـ ١١٠

عبد الله بن عمير ٢١٤
عبيد الله بن زياد ٢١٣
عثمان بن عفان ٥٩ ـ ١٠٨ ـ ٢١٣ ـ ٢٢٤
عدي بن حاتم ١٠٨
عروة ٢٠٥
عطاء بن يسار ١٢٣
عطية العوفي ١٠٧
عفان بن مسلم الصفار ١٢٢ ـ ٢١٣
علقمة بن مرثد ١٠٨
علي بن أبي طالب ٥٩ ـ ٢٠٤ ـ ٢٢٢ ـ ٢٢٣ ـ ٢٢٤
علي بن إسماعيل الأشعري ٤٠ ـ ١٧٩
علي بن الحسين بن شعبان ١٠٥
علي بن الحسين ١١٠
علي بن زيد ١٢٢
علي بن عاصم ١١٠
عمر بن حماد ١٠٥
عمر بن الخطاب ٥٩ ـ ٢٢١ ـ ٢٢٣ ـ ٢٢٤
عمر بن عبيد الطنافسي ١٠٦
عمر بن دينار ١٢٢
عمر بن قيس الملائي ١٠٧
عمرو بن مرة ٢٠٤
عيسى عليه السلام ١٢٣
عيسى بن يونس ١١٠
العباس بن عبد المطلب ٢٢٣
العباس بن عبدالعظيم العنبري ١٠٣

ف

فروة بن نوفل ١٠٩
الفضل بن دكين ١٠٥ ـ ١١٠

ق

القاسم بن سلاَّم ١١٠
قبيصة بن عقبة ١١٠
قتادة بن دعامة الدوسي ١٠٩

ل

الليث بن سعد ١١٠
الليث بن يحيى ١٠٩

م

مالك بن أنس ١١٠ ـ ٢٠٢
محمد بن ادريس الشافعي ١١٠
محمد بن الحسن الهمداني ١٠٧
محمد بن خازم ٢١٥
محمد بن الصباح البزار ١٠٥
محمد بن الهذيل ١٤٢
محمد بن يوسف ١١٠
مريم بنت عمران ١٢١
معاوية بن أبي سفيان ٢٢٤
معاوية بن عمرو بن المهلب ٢٠١ ـ ٢٠٢ ـ ٢٠٤ ـ ٢٠٦
معمر بن راشد المهلبي ١٠٦
مؤمل بن اسماعيل ١٠٩
موسى بن اسماعيل ٢٠٥

موسى بن عقبة ١٨١ - ١١٥
موسى عليه السلام ٥٧ - ٦٨ - ٦٩ - ٧٠ - ٧٣ - ٨٩ - ٩٥ - ٩٧ - ١٠٨ - ١٤٤ - ١٨١
ميكال عليه السلام ٨٦

ن

نافع بن جبير ١٢٢
النعمان بن ثابت (أبوحنيفة) ١٠٥ - ١٠٦

هـ

هارون اسحاق الهمذاني ١٠٥ - ١٠٦
هارون بن معروف ١٠٩
هشام بن أبي عبدالله الدستوائي ١١٠ - ١٢٢ - ١٢٣
هشام بن عروة ٢٠٥
هلال بن أبي ميمونة ١٢٣
هلال بن يساف ١٠٩

و

وكيع بن الجراح الرؤاسي ١٠٨ - ١٠٩ - ١١٠
وهيب بن الورد ٢١٥

ي

يحيى بن أبي كثير ١٢٢ - ١٢٣
يزيد بن هارون ١١٠
يعقوب بن إبراهيم (أبويوسف) ١٠٦
يعلى بن عبيد ١١
يعلى بن المنهال السعدي ١٠٨
يوسف عليه السلام ١٦٢

* * *

فهرس الفرق

الجهمية ٥٠ ـ ٥٢ ـ ٥٤ ـ ٦٣ ـ ٨٨ ـ ٩٠ ـ ٩٤ ـ ٩٥ ـ ٩٨ ـ ١٠٠ ـ ١٠٢ ـ ١٠٥ ـ ١٢٠ ـ ١٢١ ـ ١٣٠ ـ ١٤١ ـ ١٤٣ ـ ١٤٦ ـ ١٤٨ ـ ١٥٣

الحرورية ٥١ ـ ٥٢ ـ ١٢٠ ـ ١٢١ ـ ١٤٣ ـ ١٤٨

الخوارج ٥٤ ـ ٥٧

الرافضة ٥٢ ـ ٢٢٢

الراوندية ٢٢٢

القدرية ٤٧ ـ ٥١ ـ ٥٢ ـ ١٠١ ـ ١٤٤ ـ ١٦٧ ـ ١٧٦ ـ ٢٠٢

المرجئة ٥٠ ـ ٥٢

المعتزلة ٥١ ـ ٥٢ ـ ٥٤ ـ ٦٣ ـ ٦٧ ـ ٦٨ ـ ٧٩ ـ ١٢٠ ـ ١٢١ ـ ١٣٦ ـ ١٤٢ ـ ١٤٣ ـ ١٤٨ ـ ١٥١ ـ ١٥٢ ـ ١٥٣ ـ ١٨٩ ـ ٢١٣ ـ ٢١٥

النصارى ٨٨ ـ ١٠٥ ـ ١٣٠ ـ ١٥٢

اليهود ١٠٥

المحتـــــوى

تقديم لفضيلة الشيخ حماد الأنصارى ٣
مقدمة الناشر ٢٦
ترجمة المؤلف : للعلامة أبي الحسن الندوي ٣٢
مقدمة المؤلف ٤٠
الباب الأول : في إبانة قول أهل الزيغ والبدعة ..... ٤٦ - ٥١
الباب الثاني : في إبانة قول أهل الحق والسنة ..... ٥٢ - ٦٤
الباب الثالث : في الكلام في إثبات رؤية الله تعالى بالأبصار في الآخرة ..... ٦٥ - ٨٤
الباب الرابع : في الكلام في أن القرآن كلام الله غير مخلوق ..... ٨٥ - ١٠٢
الباب الخامس : ما ذكر من الرواية في القرآن ..... ١٠٣ - ١١٢
الباب السادس : الكلام على من وقف في القرآن وقال لا أقول إنه مخلوق
ولا أقول إنه غير مخلوق ..... ١١٣ - ١١٨
✓ الباب السابع : في ذكر الاستواء على العرش ..... ١١٩ - ١٢٧
الباب الثامن : في الكلام فى الوجه والعينين والبصر واليدين ..... ١٢٩ - ١٤٠
الباب التاسع : في الرد على الجهمية في نفيهم علم الله تعالى وقدرته وجميع صفاته ١٤١
الباب العاشر : في الكلام فى الإرادة والرد على المعتزلة في ذلك ..... ١٥٣ - ١٦٦
الباب الحادي عشر : في تقدير أعمال العباد والاستطاعة والتعديل والتجويز ..... ١٦٧ - ١٩٩
الباب الثاني عشر : في ذكر الروايات في القدر ..... ٢٠١ - ٢١٠
الباب الثالث عشر : في الكلام في الشفاعة والخروج من النار ..... ٢١١ - ٢١٢
الباب الرابع عشر : في الكلام في الحوض ..... ٢١٣ - ٢١٤
الباب الخامس عشر : في الكلام على عذاب القبر ..... ٢١٥ - ٢١٧
الباب السادس عشر : في الكلام في إمامة إبي بكر الصديق وبيان أنه أفضل الصحابة ٢١٩
فهرس الأحاديث والآثار ٢٢٧
فهرس الأعلام ٢٢٩
فهرس الفرق ٢٣٧

مطابع الجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة